بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحم من قلب المقاومة

للكاتب / أحمد عثمان

ملاحم من قلب المقاومة

للكاتب / أحمد عثمان

إصدار مكتب الثقافة ـ تعز
برقم إيداع (٢٥) ديسمبر ٢٠٢١م

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة
لمكتب الثقافة ـ تعز
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

فـريـق الإعـداد :

طـــــه الشـــــامي . محمـد عبـد الـرزاق .
نور الدين الأصـبحي . أســـامة الحـــذيفي .
عبـــد الله رضـــوان . صـــــهيب مغلـــــس .
أحمـــد أمـــين ناشـــر . عاصـــم الحـــاجبي .
حســـام الشـــراعي . لـــــؤي الشـــــميري .
أحـمـد الـخـطـيـب

لـوحـة الغـلاف :
الفنان القدير : وليد دلة .

تصميم الإصدار :
محمد المخلافي

شكر وتقدير :
محمد نعمان الحكيمي
مصطفى عبد الرزاق (شرعوب)

الصف والإخراج :
جميل عبدالوهاب اليوسفي
أيمن أمين بازل

الإشراف العام
عبد الخالق سيف
مدير عام مكتب الثقافة ـ تعز

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لأن الحرف وخز للعقل ، والفكرة المثمرة - تطبيب للروح ، والكتاب عالم مُوَازٍ من تجارب وأفكار وخلاصات إبداعية قيمة .. أصدرنا كتاب (ملاحم من قلب المقاومة) للكاتب أحمد عثمان .

كما قدمنا إصدارات أخرى تحتفي بمدارات ورموز الثقافة والفكر والإبداع ، في تعز والوطن .

كما أنها تحتفي أيضاً بأرواح إبداعية جديدة ، قلقة المضمون ومثخنة بالفرح .

وكلها إبداعات ثرية متوقدة ، أشرقت في زمن ثلجي وترفض السبات في توابيت الخوف والحياد ، وأظنها إبداعات هربت من عناوينها القصيرة جداً إلى عنوانٍ واحدٍ أكبر من وادي الجن ، وأصغر من الوطن ، وأجمل من الفردوس المفقود .

وهناك وجدوا نسخاً ثلاثية الأبعاد منهم ، نسخاً بلا مشاعر وخرساء تماماً ، عندها تحولوا إلى فم واحد ، وتحدثوا بلسانٍ (عر - مَي) وخاطبونا وخاطبوا نسخهم وقالوا :

اتركوا الحرف يعيش ، وتبرعوا بدهائكم الفطري لتحيا الثقافة ، والفكرة المثمرة والضمير الغير معتل .

وازرعوا الحب في جغرافيا الكراهية الوطنية ، عندها .. سيلملم الوطن شتاته ، ويستجمع نواحه ؛ ليشدو بلحن الغرباء في أوطانهم ، ثم يمنحنا جنسيته من جديد ، ويحرق الذاكرة الأخيرة للحرب .

عبدالخالق سيف
مدير عام مكتب الثقافة ـ تعز

المقدمة

ملاحم من قلب المقاومة .. قصص وحكايات تمكنت من اصطيادها من نهر الأحداث المعكر بدخان القذائف وأشلاء الضحايا ، وسط مدينة تعز المحاصرة والمحرومة من كل شيء إلا من همة وبسالة ووفاء رجالها ونسائها وشبابها الذين هبوا من مخالف القرى وأرصفة المدينة وأنديتها وجامعتها ومدارسها ليشكلوا حاضنة اجتماعية ، تحتضن المقاومة لتصنع ملاحم تعز الكبرى .

نُشرت على حلقات في وقتها لترصد على هامش المقاومة دور الحاضنة الشعبية ، وتسطر بعضا من حكايات الأبطال في مواقع الكرامة ، في مدينة أصرت أن تحمل على عاتقها الدفاع عن الجمهورية والمشروع الوطني الكبير؛ لتصل إلى وطن رشيد الحكم ، ومواطن كريم المواطنة في حقوقه وواجباته ، وإلى نظام ديمقراطي عادل ، بآليات تبادل سلمي خالٍ من التحريف والتجريف ، يحفظ قيم الديمقراطية وجوهر سيادة الشعوب .

حكايات مبهرة حد الدهشة ، وقد يحسبها القارئ قصصاً من الخيال المحض ؛ لكنها واقعية نقلتها من الميدان ساعتها بشهادات موثقة ، صغتها بأسلوب قصصي وحبكة درامية ، بما لا يُخل بواقعية القصة ومصداقيتها .

نحن أمام حكايات كنا نقرأ أمثالها في التاريخ وخيالات السينما العالمية لكنها هنا واقعية ، أبطالها ناس عاديون ، رجال ونساء صنعوا الحدث وواجهوا الإعصار بأظافرهم وأسنانهم ، وبالحجارة والعصي ، وما توفر لهم من سلاح وذخيرة ، مستندين إلى إيمان عميق بالقضية التي يحاربون من أجلها .

هذه الحكايات جزء من تاريخ المقاومة في تعز ونماذجُ من مجتمع قرر أن ينهض في وجه الظلام الغازي، والغطرسة المنتشية بالقوة والعنف المدجج بالحشود العمياء وكثافة النيران ، لتصنع ملاحم الصمود والحرية، وتضع اللبنات الأولى للجيش الوطني و الدولة المنشودة .

ووقتها نشرتها تباعا في حلقات على صفحتي في الفيس بوك ، وانتشرت حينها داخل وخارج اليمن ، وكانت صورة عاكسة لتقريب ما يجري في وقت حُوصر فيها كل شيء في المدينة ؛ الخبز والماء والصورة والخبر.

وأنا هنا أجمعها في هذا الكتاب حية كما نشرت في وقتها دون تعديل أو إضافة ؛ حفاظا على الروح المتقدة والنَفَس الحار في هذه الأحداث والحروف التي كتبت بها في ظروف استثنائية وزمان لا يمر على الأمم إلا عبر قرون طائلة لتبقى هذه الأحداث مستندات تاريخية للأجيال القادمة ، تحفظ بطولات شعب أسطوري صنع المستحيل ، وأعاد للمواطن اليمني في هذه المحافظة وسائر الوطن اعتباره ، ورسم حقيقة شموخه وكبريائه الذي لا ينحني إلا لرب العرش .

كما يسجل قوة المجتمع عندما يلتف حول قضايا وطنه بروحه بعيدا عن الحسابات والحساسيات المرَضية الصغيرة ، حيث يتحول كل فرد إلى مجتمع وكل مجتمع إلى قوة قاهرة تحمي الديار وتهزم المعتدي ، وتتحول مفردات الوطن من إنسان ـ رجلاً كان أو امرأة .. طفلاً أو شيخا ـ ومن جغرافيا السهل والجبل والساحل وحتى الحيوان ؛ كلها تتحول إلى أسلحة باطشة تصدم المعتدي وتصنع التاريخ وتسطر البطولات .

إنه التاريخ ؛ صُنع في تعز بشكل مختلف وروح تسمو على المادة .. تعانق السحاب فتصنع من البرق سلاحا ، ومن النجوم هداة وسندا ، إنها ببساطة حكايات من الواقع ونماذج مصغرة للحمة تعز الكبرى ، تلك اللحمة التي لا تمل ولا تفتر حتى تنتصر؛ لأن الروح عندما تنهض حاملة سيف الحق تحرك الإنسان فيستحيل كسرها ؛ لأنها تتجدد مع تجدد شروق كل يوم جديد ، وتبقى بقاء شوامخ الجبال و هديل الطير في الروابي ، وصوت أهازيج موسم الصيف المحبة للحياة المتشبثة بالأرض والكرامة والجمهورية.

أحمد عثمان

راعي في جبل جرة

الحلقة الأولى

يقول الحاج علي ، وهو واحد من أبناء المنطقة المحيطة بجبل جرة في الجبل سر الإنسان ، ومدى قوته عندما ينهض ، وصلابة عناده عندما يتحدى ويسترسل الحاج علي : في هذا الجبل ، كما في كل مواقع المدينة وقرى المحافظة روح الإنسان اليمني تجلت وبرزت حقيقة قوة إرادة أبناء تعز.

في الجبل مخزون من الحكايات التي تزاحم المجد ، وتناطح هامة الزمن هنا منجم نفيس حقيقي بحاجة إلى جهد لإخراجه للتاريخ .

(العم عبده) راعي في الجبل وهو بذاته لغز حقيقي ؛ فهو عندما يتكئ على جدار ويحدث نفسه تكون لغته رصينة ، وكأنه خريج جامعة عريقة وعضو في مجلس قيادة الثورة السبتمبرية في الستينات ؛ لكنه سرعان ما يخرج من حالته هذه إلى حالته الطبيعية التي عرفها الناس في جبل جرة قبل وبعد المعركة .

العم عبده يشبه الجبل في غموضه وأسرار أحواله .. كل ما يعرفه الناس عنه أنه رجل مسن في السبعينات من عمره ، يقضي أيامه في رعي الماعز والأرانب بالجبل ، في الغالب يجلب لها العشب وبقايا الطعام إلى حوش منزله المتواضع الذي يعيش فيه وحيدا عدى أرانبه وأغنامه التي يعيش معها وبها .. رجل بسيط في حديثه وحركته كأي راعي أغنام .

عندما صعدت المجموعة الأولى من شباب المقاومة ، لا يتجاوز عددهم العشرة بزي اللواء (٣٥) مدرع ، الذي أعلن وقوفه مع الشرعية في أول انتشار في مواقع المدينة ، صعد أكثر من ثلاثين فرداً بسلاحهم ، بعضهم من سكان الجبل والحارات القريبة ، كانوا مدفوعين من جماعة عفاش وادعوا أحقيتهم بحماية الجبل ، مطالبين شباب المقاومة بالانصراف .

كان العجوز الراعي يرسل أول تجلياته عندما أشار إلى شباب المقاومة بأن هؤلاء أعداء لا تصدقوهمش أصحاب علي عبد الله صالح ، نطق الاسم وكأنه

يعرفه جيدا أو زميل له في إحدى معسكرات ستينات القرن الماضي ، قالها ومضى وعاد ليهش على غنمه ، هكذا يبدو وكأنه واحد من رجالات المخابرات في حروب التحرير العالمية ، وما قاله الراعي عبده عن المسلحين كان هو الحقيقة ؛ لقد عولج الأمر وطلب الشباب تعزيزات وحضرت دبابة في مدخل الجبل ؛ فتبخر المسلحون الذين قالوا بأنهم سيتكفلون بحماية الجبل ، ولم يكن هدفهم سوى الالتفاف على المقاومة وإنزالهم منه .

كانت هذه عربون صداقة غير معلنة بين الجبل ومقاومته وراعي الجبل الغامض .

مضت أشهر وجبل جرة صامد يتحول مع كل لحظة إلى أسطورة .. كان الهجوم كل ليلة ثم تحول كل ثلاثة أيام ، وفي كل هجوم كانت المدينة ومتابعو المعركة ومحبو تعز واليمن في الداخل والخارج يمسكون على قلوبهم أمام القنوات ، وشاشات التواصل الاجتماعي .

ابتداء يأتي الخبر:

هجوم كاسح من كل الجهات على جبل جرة ، والقذائف تحرق كل شبر ، وتستمر المعركة أحيانا ، وتبقى متواصلة حتى الفجر، ولا تنام المدينة والمتابعون إلا بخبر : الحمد لله كسر الشباب الهجوم في جبل جرة ، وجثث الحوثيين متناثرة على جوانب الجبل .. خبر يكاد يكون متكرراً خاصة في الأشهر الأولى .

وعادة ما يبدأ من تبقى من السكان القريبين في الجهة الجنوبية بكتابة خبر على صفحاتهم في التواصل الاجتماعي مثل:

الليلة هجوم غير مسبوق ، و الجبل يحترق ..

هل سيصمد الشباب ؟ ادعوا لهم بس !

وآخر يكتب : ليلة مختلفة .. لا أعتقد أن الجبل سيصمد .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

الذخيرة تنفد .. الشباب ترُكوا دون دعم .. اللعنة !

عند الفجر يتلقى الناس خبراً مألوفاً مثل : الله أكبر ، لقد حقق الشباب في جبل جرة المعجزة !

كان الجبل يعصب عمامة الحرب والتحدي ليلا مقطباً حبينه ليفردها عند فجر كل صباح مبتسما ، يتنفس النصر بشباب هم قوة الزمان وخلاصة القوة .

وفي كل هذه الأحداث كان العم عبده حاضرا في قلب المقاومة صديقا مألوفا لدى الجميع ، يقدم خدمات متعددة .. يقدم الماء للمقاومين في المواقع.. والأكل إذا وجد ، ويخص بعضهم بحليب الماعز؛ فقد كان يوزعه على طريقته التي لا تلفت النظر كصدقة السر، ويختار زبائنه بعناية بحسب الحاجة وكأنه مشرف الخدمات ، يساهم بجمع الحطب عندما تحول إلى مادة أساسية ، وأفضل شيء كما قال المقاوم (عبد الرحمن) ابتساماته التي كان يوزعها وبأسلوب يرسل الطمأنينة والثقة ويوحي بالنصر ويشعرنا بالفخر والاطمئنان .

ومع هذا ؛ فقد كان العم عبده غريب الأطوار؛ فهو بقدر حماسه لخدمة المقاومين ، وتسديد النصائح العابرة والثمينة كان منطوياً وغامضا وفي عينيه حزن ظاهر وتقاسيم أشبه بقصيدة بكاء وشجن مخلوطة بقهر مزمن !

وما يزيد من غموضه خروجه أحيانا عن سجية الراعي ، إلى شخصية الخبير العسكري وصاحب التجارب .

الحلقة الثانية

عندما تكررت إصابة مدافع الحوثي أهدافها على مواقع محددة يتواجد فيها مقاومون ، واستُشهِدَ بعضهم ، مَرَّ الراعي على مجموعة و هو يهش غنمه واقترب ليقول : (لو يا عيالي الأيام آذيه) الدانات حق الحوثي اتعالت لكم وتنزل فوق أصحابكم ؟

- عبد الرحمن : مو قصدك يا عم عبده اتعَالَتْ ؟

- قصدي يا عيالي أنتم بحرب مش صفاط اتلفَّتوا حولكن و بينكن سوى لا يكون في من يعلمهم !

- محمد: كيف يا حاج مو تقول؟

- أقول ما بكنش سخا اشتحطوا وقعوا رجال .. شوفوا (الدانات) ما تصيب أكه إلا في واحد يصحح من أونا و الاّ من البيوت المجاورة .

و هو الكلام الذي اندهش له الشباب كيف يصدر من الراعي.

قال محمد: و أنت مو دريك بالتصحيح ؟

و بنظرة عتاب قال اتعلمنا منّكم يا بني ، كما الحرب تشتي انتباه داخل أكثر من خارج .. وانصرف .

وعي الراعي و حديثه أظهره و كأنه قائد عسكري ، وهو ما فتح علامات استفهام حوله ، و لو أنهم اتفقوا تقريبا على أن للرجل حكايةً و تاريخاً مّا، إلا أنهم رفضوا التشكيك الذي طرحه أحدهم حول شخصية العم عبده ، وربما دور ما أو علاقة مع الطرف الآخر .

رفع عبد الرحمن حديث عم عبده إلى القيادة لعمل اللازم والبحث عن إمكانية وجود مصحح للعدو فوجد القيادة أيضا متفهمة لهذا الافتراض.

بعد ثلاثة أيام فقط ضُبط أحدهم متلبسا بالاتصال مع المهاجمين قبُض عليه و فر اللذَان قدما معه قبل أسبوع ملتحقين بالمقاومة ، و انتهت أو خفت الضربات القاتلة بشكل واضح .

قال القائد لقد حفزنا (عم عبده) لاكتشاف الخطر القاتل بيننا .. هذا الشيبة بركة يقوم بدور كتيبة .. هذا يمثل أبناء تعز وحاضنة المقاومة .

قال عبد الرحمن و لا تنسوا هو من نبه إلى الثلاثين المسلح التابعين لعفاش الذين صعدوا كمقاومة في بداية المعركة .

بينما أخذ محمد يقول : لقد زاد فضولي لمعرفة عم عبده .. أريد أن أعرف من هو؟ أعتقد أنه شخصية مش عادية .

أحمد : المشكلة أنه يتهرب عند الحديث أو السؤال عن الماضي ، بل تثير فيه الأسئلة علامة الحزن واستجرار القهر .

القائد: خلاص لا تشغلوا أنفسكم بعم عبده الذي أصبح واحدا منا ، و إذا أردتم أن يبوح لكم عن نفسه ؛ فالمقاوم (صبري) أظنه قادراً على الحديث معه ، أرى (عم عبده) يأنس لصبري و يهتم به كثيرا ، و يسأل عنه إذا غاب ، وهذا زاد إعجابي بـ (عم عبده) لأن صبر ي شاب يستحق الاحترام .

الآن علينا الانصراف لا تنسوا أن هناك أخبارا بأنهم يعدون لهجومٍ الليلة .. استعينوا بالله و لا تنسوا الدعاء ، و كونوا يقظين مع مجموعاتكم .

في ليلة شديدة السواد متوشحة بالوحشة نفذ الحوثيون وحرس صالح هجوما شاملا و طويلا .. و بعد مضي ساعة من الهجوم تقريبا ، أعلنوا عبر إعلامهم سقوط جبل جرة .. صعقت المدينة و المتابعون ؛ فالعارفون بتفاصيل المعركة و القريبون من الجبل تيقنوا أن سقوط الجبل أمرٌ حتمي ، و أن الصمود بالنظر إلى فارق القوة هو معجزة و صورة من صور المستحيل .

كان الأستاذ عبد الإله الذي يسكن بالقرب من الجبل قد أجرى اتصالات عديدة بعد منتصف الليل ـ وهو يشاهد طول وكثافة الهجوم والنيران ـ مع القيادات والقريبين منها ، طارحا فكرة إصدار أمر بالانسحاب ؛ فعشر ساعات والهجوم مثل الأمواج المتجددة ، و النتيجة الطبيعية هي اقتحام الجبل وخسارة المقاومين الذين يجب ادخارهم لمعارك قادمة .

حرام أن يغيب هؤلاء نحن بحاجة إليهم ...

كان الأستاذ عبدالاله ينطلق من عاطفة ومنطق ؛ فهجوم مثل هذا ستكون نهايته اقتحام الجبل ، ولأن المقاومين لن ينسحبوا فعلينا أن نسحبهم نحن تحيزا لقتال .

لقد حيشوا كل قوتهم ، و الحقيقة أن هذا الهجوم كان معدا لاقتحام الجبل مهما كانت التضحيات ، و لهذا كان الهجوم يشبه الموجات المتتابعة مجموعة تنتهي وتأتي مجموعات أخرى ، و تتخذ بالهجوم أسلوب التقدم الانتحاري الجماعي المرعب ، الذي تمارسه بعض كتائبهم مثل كتائب الحسين والاستشهاديين و الانغماسيين ، وكلهم حضروا إلى جبل جرة لاقتحامه ، لينشق الفجر عن أذان المؤذن وتكبيرات المقاومين في الجبل بتكبيرات النصر و اندحار العدو الذي ترك وراءه جثثا متراكمة ، بعضها لمتسللين كانوا قد تمكنوا من التسلل إلى قمة الجبل .

و في الصباح صحت المدينة ذابلة تتوجس ؛ بعد أن سمع أهلها هول المعركة ، وسمعوا إعلام الحوثيين و هو يعلن سقوط جبل جرة ليلا ، بل وواقع المعركة كان يشير إلى استحالة الصمود .

وسرعان ما انتعشت النفوس ، وتنفست المدينة الصعداء .. لقد صمد الجبل كما هي عادته ، وتساءل الناس : كم تبقى من المقاومين ، كم الشهداء ؟ كانوا متأكدين أن الشهداء سيكونون أكثر من نصف المتواجدين أو أكثر من ربعهم على الأقل .

وجاء الخبر اليقين : لقد ارتقى ثلاثة شهداء .

ابتسم الأستاذ عبد الإله و سجد سجدة شكر، قائلا: الله يرعى هذه المدينة وينصر هؤلاء الشباب .. لا خوف بعد اليوم .

الحلقة الثالثة

في معركة الجبل القاسية ، التي جرت لم يكن عم عبده غائبا ؛ فهو لا ينام عند أي هجوم .. يرقب المعركة و يقتنص أي عون يقدمه أو مساعدة ، وفي ليلة المعركة ذهب لمقابلة القائد ، سأله عن فتحة هامة في الجبل يعرفها مؤكدا على خطورتها ، رغم أنها بعيدة عن المواجهة ؛ لكنه بخبرته بالجبل قال بأن الوصول إليها سهل وهي هدف قاتل ، ومنها سيدخلون إلى وسط الجبل .

قال القائد : عِملنا شابين احتياطا .. كان يعتبرها مكانا غير مهم لكن عم عبده و بلغة الخبير أقنعه أن الحوثة لديهم من أهل المنطقة من يدلهم على المنافذ كان تنبيها مُهماً أخذه القائد بعين الاعتبار ، وأعاد الترتيب باعتبارها ثغرة مهمة وقد كانت كذلك وجرت فيها معارك طاحنة خسر فيها الحوثة العشرات حين جاؤوا إليها على اعتبار أنها ستكون مفاجئة للمقاومين .. لقد شارك الراعي كعادته في المعركة .

اليوم الثاني أرسل القائد من يأتيه بعم عبده ليشكره على رأيه السديد ويشجعه على إيصال أي ملاحظة مهما كانت ، فهو خبير بالجبل ولديه حس رفيع .. لم يجد الرسول (عم عبده) في بيته .. الوقت قبل الغروب أين ذهب ؟

قال سعيد مشككا: و الله إن قلبي مش مطمئن لهذا الشيبة .. الشخص مش طبيعي خالص.

التفت القائد إلى الشاب (صبري) أين صاحبك يا صبري ؟ أخاف يطلع مقلب كبير .

- لا أبدا .. هذا طيب و مسكين ، و أنا أعلم أين هو الآن ؛ قبل الغروب يجلس في التبة الغربية يعجبه يجلس هناك يغرد و يهجل .
- هيا روح شوفه إنه هله .. شوفه بس.

اقترب (صبري) و زميله إلى الصخرة ، وكان عم عبده جالسا القرفصاء منهمكا بشيء بين يديه مشغولا إلى درجة لم يحس بقدومهم .. ذهل صبري و زميله عندما و جدا الراعي عبده و قد انتهى من رسم صورة امرأة على الصخرة

وبجانبها طفل ، و باستغراق اتجه بنظره نحو غروب الشمس محدقا في الأصيل كفيلسوف ، ثم أطلق نهدة عميقة أخذ يردد بعدها (مهجلا) يردده المزارعون أثناء موسم الصيف ، و لحنه كله حزن و شجن .

مع العشي مع المغارب يا قليب لا تكترب

قا روحوا كل المحبين القراب والمبعدين

قا روحوا الناس بالسلامه و أنت وا محبوب له ؟

كان صوته شجيا كواحد من أبناء مناطق الحجرية المولعين بهذه الأهازيج وفي صوته نبرة أسى واضحة ، و مع الصورة التي رسمها شكلت قصة حزن يخفيها عم عبده ؟

- (أيش حكاية هذا الشيبة كل يوم يخرج لنا بإشارة) قال صبري لصاحبه و هو يقترب أكثر من الراعي المستغرق مع الغروب كعابد !!
- عم عبده .. كيف حالك؟
- التفت بارتباك ! . ها ها.. صبري ، أهلا اجلسوا .. اجلسوا شوفوا للدنيا .
- أي دنيا نشوف يا عم عبده نحن في حبل جرة مش بباريس.
- شوف يا بني للشمس و هي تغيب كيف هي .. هذه هي الدنيا كلها تخبر

كلام عميق رغم بساطته ، وقع في نفس الشاب الذكي صبري وزميله أحمد الذي قال : و الله كلاااام يا عم .

- صبري : أنت شاعر يا عم عبده .. .بس هيا معانا القائد يشتيك .
- يشتينا أنا ؟ مو يشتي؟
- يشتي يشكرك على رأي الفتحة الغربية أمس جاء على كلامك .
- يا بني احنا اللي نشكركم .. أمس كان من ليالي القيامة الله لا رده ... يهم بأخذ بعض الحشيش المعصوب ، و هو يقول: الآن مغرب شاروح .. الأرانب حقي جياع الله ينصركم .. مع السلامة.. وداعة الله أنتم (كلكن).
- عم عبده طلعت رسام.
- مو رسام؟
- وبعدين ترسم حاجات .. مو !! تحب يا عم عبده؟

- هـذه خربشـه الله يجـيرك مـن الخربشـة .. مـودع .. .ينصـرف خطـوتين ، ويلتفت:

يا صبري يا بني شتجي عندي اتفضل شعملك عشاء .

- شكرا عم عبده شكرا .
- أمانة اعتبر البيت بيتك أنا حبيتك مثل ابني .
- خلاص بكرة أنا لو ما فيش حاجة شاجي لك.
- تمام منتظرك .
- أين أسرتك يا عم عبده؟ سأل أحمد .

نظر(عم عبده) نظرة أشبه بالعتاب .. خلاص مودعين .

كان لا يتحدث عن الماضي ، و أي سؤال كان يبدو كمن ينكأ له جرحا .

- صبري : عفوا عم عبده في أمان الله .. بكرة إن شاء الله و أنا عندك .

زاد تعلق صبري بعم عبده ؛ فهو يشعر بحنانه ، كما أن هناك نقاط غموض تظهر كل يوم يريد أن يعرفها ؛ ما قصة الحزن الذي يصاحب عبده والخبرة التي يبديها أحيانا ، و كأنه خريج جيش أو كلية حربية ؟! الحرص الكبير الذي يلف به المقاومة والخوف الدائم؟ و الصورة الجدارية تلك ؟ هذا الراعي يخفي وراءه ماضياً تليداً ، ومهشماً يجب أن أعرفه .. يقول صبري ، وهو ينصرف عائداً .

عندما وصل إلى القائد أخبره بأن عم عبده موجود في مكانه المعتاد ، وعندما أخبره عن الصورة قفز (سعيد) كمن وجد دليلا ضد الراعي ، ليقول متهكما: ورسام كمان .. أقلكم شوفوا مَن هذا الشيبة .. الصورة هذه احنا نحصله في الجبل في أكثر من مكان ، وأنا كلمت القائد بأنها ربما تكون إشارة ما للعدو .. الآن تمام عرفنا صاحبها .. صحيح (تحت السواهي دواهي) .

القائد: الآن مش وقت الراعي كل واحد يشوف شغله .. كان الوقت التاسعة ليلا و الصواريخ بدأت تنهال على الجبل ، و الاستعداد جارٍ تحسبا لهجوم جديد .

في اليوم التالي ، وقبل المغرب ذهب صبري إلى بيت الراعي بعد أن استأذن القائد في المبيت هناك ؛ لكنه لم يجده في البيت ، فذهب إلى المكان الذي يرتاده قبل الغروب فلم يجده !

عاد مرة أخرى سأل عنه ، أخبره أحد زملائه بأن اثنين مسلحين أتوا عصرا وأخذاه معهما .

- صبري وبغضب : أيش يعني أخذوه ؟ ومن هما؟- مش عارف.. أنا كنت بعيد ، ولم أتحقق من هم ؟

- صبري : ما يكونوش الحوثة أخذوه؟

- مش عارف ، لكن أيش دخل الحوثة هنا .. شوف يكون راح با يرجع .

- صحيح أيش دخل الحوثة إلى هنا ؟؟

لا بد من إيجاد عم عبده .. هذا أبي هنا ، أين ذهب ؟ ومن هؤلاء ؟

لم يدع صبري في ليلة اختفاء عم عبده مكانا إلا وسأل عنه ، زادت حدة خطابه وهو الهادئ الخلوق ، خاصة عندما يجد من يشك فيه ، ولم يهدأ إلا عندما طمأنه القائد بأنه سيبحث عنه ، وأن عم عبده سيكون بخير ، وفي بيته الليلة ، ثم أعطاه تعليمات ومأمورية لتنفيذها ؛ فقد كان (صبري) من رجال المهمات الصعبة .

الحلقة الرابعة

قبل أن يغادر (صبري) لأداء مهمته التي كلف بها ذهب إلى بعض أصدقائه ومن يعتبرهم أساتذته في المقاومة ، ليودعهم و يوصيهم بالبحث عن (عم عبده) ،يهمس في آذانهم أين يمكن أن يجدوه فهو يعتقد أنه في الجبل وأنه ضحية سوء فهم أو سوء تفسير، بسبب الجو المشحون بالتوتر والتوجس .

زار صديقه عمار وسليمان والعم هائل وعبد الملك ومحسن الغشم وعبده العقبي.

كان صبري يقول للمقاوم (عبده العقبي) يا عم عبده أنت ممن أستمد منهم قوتي بعد الله .

كان (العقبي) قادما من مديرية (عتمة) في محافظة ذمار.. جاء إلى الجبل كغيره من رجال الجيش الوطني ، الذين نظروا بأن الجبل صورة مكثفة لليمن والجمهورية .

يقول القائد خالد : هناك قصة مثيرة عن قدوم (العقبي) فقد أرسل ولديه إلى الجبل في بداية المقاومة ، وأثناء صد الهجمات المتتابعة على الجبل سقط أول شهيد من أفراد الجيش الوطني وهو الشهيد (عبده السويدي) من (عتمة) وأثناء تشييع جنازته ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ، ذهب ولدا (العقبي) مع المشيعين وهو ما أغضب والدهما ، واعتبر ذلك تفريطا بالجهاد .

قال أحد أبنائه نحن أستاذنا في المشاركة بدفن الشهيد وسنعود يا أبى .

و لم يتأخر (العقبي) كثيرا ليعود هذه المرة بصحبة ولديه إلى الجبل وكلف بقيادة الدبابة ،كان قائد دبابة ماهرا وبشجاعة استثنائية.

يقول القائد خالد : أحيانا كان الأفراد يجبرون على الانسحاب تحت كثافة النيران المهولة ، وأحيانا نأمر نحن بالتراجع لكن (العقبي) وأمثاله الذين أطلق عليهم مؤخرا (صخور الجبل) يعود إليهم الفضل في إنقاذ الجبل في اللحظات الحرجة.. لا يعرفون كلمة تراجع .

في إحدى المرات كان الهجوم فوق الوصف .. استشهد الكثير بمن فيهم الشهيد البطل (محسن الغشم) وجرح آخرون منهم القائد (منصور) قائد الجبل .. حينها انسحب الأفراد من الموقع تحت كثافة نيران جارفة ، وبقى (العقبي) يضرب بالمدفعية وزميله يضرب بالرشاش وابنه يقود الدبابة .. فقد انسحب زميله من فوق الدبابة مع المنسحبين وبقى (العقبي) يصد الهجوم بشكل أسطوري ويضرب بمدفع الدبابة ، و يصعد ليضرب بالرشاش المثبت فوق الدبابة ثم يعود ويضرب بمدفعها ، وهكذا يتحرك صعودا وهبوطا وبأعصاب باردة و ثبات عجيب بين نيران مصبوبة من كل مكان تشيب الصغير وتذهل الكبير!

واستطاع أن يفشل الهجوم الذي كان يمكن أن يغير المعادلة .. لقد كان صمودا في اللحظة الحرجة.

كان الشهيد (محسن) الذي استشهد في نفس المعركة يتحدث دائما عن السيطرة على اللحظة الحرجة في أي هجوم ، وأن أي هجوم مهما كان لا يستمر، وأنه لو تم امتصاص الاندفاعات الأولى وسيطر المدافعون على اللحظة الحرجة كان النصر حليفهم عند النهاية ، وهذه يصنعها في الغالب أفراد لا يعرفون الذهول .

عندما ودع العقبي الشاب صبري قبل المعركة قال له: يا صبري سأرحل إلى الله وأنا مطمئن على الجبل ، واطمئناني على الجبل يعني اطمئنانا على اليمن لقد مكثت في الجبل ما يكفي لأرحل إلى الله وأنا مسرور ومطمئن بك و أمثالك وهم هنا كثيرون .

وكانت وصيته لأولاده : موتوا مرفوعي الرأس .

يقول القائد خالد: وبين مئات القذائف التي استهدفت الدبابة والجبل وأثناء تكبير الجبل بالنصر سقطت قذيفة على دبابة (العقبي) ليسقط شهيدا ، وكأنه اختار

لحظة الشهادة بنفسه و بدقة بعد أن اطمأن وشاهد فرارهم بعينه واندحار الهجوم .

وبقى أبطال اللحظة الحرجة أو (صخور الجبل) يقودون المسيرة في كل لحظة وكل موقع ، يقول القائد منصور عن المعركة المفصلية التي سبقت هذه المعركة بشهر وحدثت في (١٣) شعبان في بداية المقاومة :

إن الفضل يعود بعد الله إلى الشهيد سليم المشرقي والشهيد عبدالله محمد عبد العزيز في إنقاذ الجبل من السقوط والذي كان حينها يعني سقوط المدينة .

ومثل العقبي استشهد (سليم) و (عبد العزيز) في نهاية المعركة ، بعد أن حققا النصر وانقذا الموقف .. سليم من المحويت و عبد العزيز هو شخصية اجتماعية وشيخ من (مشرعة وحدنان) بتعز، يتجاوز الخمسين من عمره ؛ لكنه شعلة من نشاط ؛ قبل أيام من استشهاده كان حزينا ؛ لأنه أراد أن يبدأ المقاومة في مشرعة وحدنان لأهمية موقعها على المدينة ولتخفيف الضغط على مقاومتها ؛ غير أن قيادة المقاومة أخبرته بالتريث ، فلم يحن الوقت بعد .. وحتى يحين الوقت ذهب إلى الجبل فمثله لا ينتظر .

فقد كان عائدا من معارك عمران والجوف بصحبة صانعي المجد أمثال (محمد الصهيبي) أول شهداء مقاومة تعز الذي كان عبد العزيز يتحدث عنه بإعجاب شديد ؛ فهو رفيقه في مأرب والجوف وعمران .

يقول القائد (راشد) : في ليلة استشهاد الأستاذ (عبد العزيز) رزق بمولود وعندما جاء الخبر إلى زوجته التفتت إلى المولود ، وهي تقول لقد ولد عبد الله الليلة! ثم أخرجت (الشال) الذي يتعمم به الشهيد في الغالب وأعطته لولدها البالغ من العمر ١٣ عاماً ، وهي تقول له : أنت بدل أبيك ، وألبسته الآلي ليستقبل العزاء و يلقي كلمة هزت الجموع .. عن والده وإكمال المشوار .

(يوسف) لم يكمل المشوار ابن الشهيد عبد الله وحده و إنما أكمل المشوار نساء ورجال مشرعة وحدنان و صبر ، ومازالت قرى تعز وحاراتها تكمل المشوار، ومازال أبطال اللحظات الحرجة يتوالدون في كل يوم وفي كل موقع .

ويضيف القائد (عبد الكريم) معلقا :

كلما غاب ثائـــــــر

تنبت الأرضُ ألفَ ثائر

عندما عاد صبري من مهمته اتجه إلى بيت (عم عبده) فوجده هناك.

فرح عم عبده بصبري و أعد له عشاء.

سأله صبري : أين كنت ؟

- أنا هنا .
- أين ذهبت ؟ و من الذي أخذك ؟
- خلينا أعملك عشاء .
- لا مش كل مرة تتهرب .. أشتي أعرف حتى لا أشك .. هل تشتينا أشك؟
- توقف(العم عبده) عن تقليب الفاصوليا و هو يقول: عادي كنتُ ضيفا عند أصحابك.
- هل آذوك؟
- لا أبدا .
- طيب منهم أصحابي ؟
- أصحاب سعيد أخذونا لا عنده ثلاث ساعات وتركونا.
- والله كنت أشك بسعيد هذا التعبان .
- لا سعيد مش تعبان هو على حق؛ أنا يعجبنا سعيد و قلتُ لهم احبسونا أنا لن أقدم ولن أؤخر، و بعدين أنا محبوس ، محبوس منذ أربعين سنة ، لكن جاء القائد و اعتذروا لي والله إن(سعيد) يعجبنا.. أنتم في حرب يا صبري .
- والله إنك عجيب يا عم عبده.
- بعد العشاء لاحظ (صبري) صور عبد الله عبد الوهاب الفضول و نفس صورة المرأة والطفل الذي رسمها في الجبل ..
- صورة من هذه ؟
- صورة الفضول ما تعرفوش ؟!
- هذه صورة الفضول تمام و أنت تحب أغاني أيوب طارش التي هي أشعار الفضول ، لكن هذه الصورة .. المرأة و الطفل من هي أمانة؟

متجاهلا السؤال التقط (عم عبده) سكينا صغيرة من جيبه و أخذ ينقش شوكة في رجله اليسرى و هو يقول: هذه شوكة بنت (....) اتعبتنا .

عندما رآه يحاول نزع الشوكة بأسنانه قال له لحظة لحظة عم عبده شانقش لك ، لكنه أخذ يعارك الشوكة بأسنانه متجاهلا كلام صبري بالمساعدة حتى نزعها .

صبري: ليش يا عم عبده متشتيناش أساعدك الله المستعان؟

- شوف يا ابني شانصحك ، إذا شوكت شوكة انزعها بيدك أو بأسنانك طالما وأنت تستطيع، و لا تطلب من أحد ينقش لك؛ لأنك لو سلمت رجلك لواحد ينقش لك.. .الشوكة شتكتسر برجلك و بعد)من عمله بيده الله يزيده(؟ يعني أنت تساعد الناس وتخدمهم و ما تشتيش أحدا يخدمك! يعني متكبر.

- أعوذ بالله من الكبر ؛ بس قبل ما تخدم الناس اخدم نفسك.. الذي ما يعرفش يساعد نفسه لا يعرف يساعد الناس.. والذي ما يخدمش نفسه لا يستطيع خدمة الناس .

- و الله إننا استمتع بكلامك أنت كبير يا عم عبده .

- أنا فرح بك و بأصحابك يا صبري.. .ثم فتح شنطته الحديد و أخرج صرة فتحها و أخرج منها حبيبات بيضاء و أعطاها صبري .

- أيش هذا ؟

- هذا لبان (شحري مر) بس مليح .

أمضيا وقتا ممتعا كصديقين قريبين رغم فارق السن ؛ فصبري لا يتعدى عمره العشرين ، وعم عبده في عقده السبعين ، لكنه كمن وجد في(صبري) شبابه ، بل هو أخبره ذات يوم بأن وصول المقاومة أعاد له الأمل ، أما أنت (يقول لصبري) فقد لملمت لي جراحي ووضعت عليها بلسما .

جهز مكان النوم.. أخرج الطراحة المخبأة و غطى بها (صبري) ثم أخذ مصحفا قديما من (الرف) وذهب يقرأ كعادته قبل النوم .

لاحظ صبري قدم المصحف فقال: يا عم عبده هذا المصحف قديم بكرة باجزع لك مصحف جديد.

- لا لا .. أنا ما أعرف إلا هذا المصحف .. هذا المصحف صاحبي من زمااان وسيبقى معي حتى الموت ، ولا أعرف (أتحزب) إلا به .

- كيف(تتحزب) يعني ترجع حزبي هههههه!!

- أتحزب أقرا؟...مو يقولوا عندكم؟

(أتحزب) تعني في قرى تعز أتلو القرآن .

عندما غفا صبري أنهى عم عبده القراءة واقترب من صبري وغطى جسمه كأب أو أم تريد طفلها أن ينام بعمق.

لم يمضِ وقت حتى بدأت أصوات المدافع والصواريخ تتساقط على الجبل وبعدها بدأت أصوات اشتباكات ، وعندما زادت الاشتباكات نهض صبري الذي كان يحسبه عبده نائما.. نهض ليأخذ سلاحه.

قال له العم عبده: نم يا صبري مش(زامك) ولا (نوبتك) و بعدين قلت عندك إجازة الليلة .

صبري: عم عبده .. عندما يهاجمنا الأعداء تنتهي حكايات الإجازات.. إحنا مش موظفين هنا !! و يخرج .

- الله معك .. يقول عم عبده ، يخرج معه إلى خارج البيت ، ثم عاد وهو يتمتم و يردد بعض كلمات صبري عند خروجه بإعجاب .

عندما يهاجمنا الأعداء تنتهي حكاية الإجازة (..) نحن مش موظفين .

- أيوه أنتم مش موظفين .. مش موظفين ، و يقترب من المرآة المعلقة بجانب الفانوس ليرى صورته يحدق فيها وفي تجاعيد الزمن مليا ثم يتحدث مع نفسه:

أيوه يا عبده هذول مش موظفين هذولا أبطال ، أنا (حميَّسهم) و فداء لترابهم ..

أين كانوا ومن أين خرجوا ؟

الله... وا عبده عشت و شفت ما يسرك .

اليأس خيانة واعبده .. ومازال هنا يحدث صورته في المرآة المعلقة على الحائط ، لم يستطع النوم ؛ فخرج خارج البيت يشاهد المعركة الهولة وغير المسبوقة ينتظر نتيجة المعركة وعودة صبري على أحر من الجمر.

الحلقة الخامسة

كانت معركة شرسة استمرت إلى الفجر، سقط فيها شهداء وجرحى ولأول مرة يقترب فيها الحوثيون ويسيطرون على مواقع من الجبل في جهته الشمالية إلى حد اقترابهم من بيت عم عبده نفسه.

ثلاثة أيام من المعارك الشرسة ، حاول الحوثة التقدم أكثر لكنهم عجزوا بعد ما تمترس الشباب من جديد وأعادوا ترتيب قواتهم ، وقد كانت خسائر المهاجمين في الثلاثة الأيام التي تلت تقدمهم تفوق كل الخسائر، فقد أغراهم التقدم بالسيطرة على الجبل لكن طمعهم تبخر وغرورهم انكسر، والشباب عازمون على استعادة المواقع التي فقدوها ، خاصة عمارة عبد الصمد التي تقع في مكان حساس يقنص العدو منها المقاومين والمدنيين إلى الشوارع البعيدة ، ويحاصر منها طريق إمداد المقاومة إلى الجبل .

عاد صبري بعد المعركة ، فاستقبل عم عبده صاحبه ببشاشة زائدة وجهز له العشاء ، وبعد الصلاة قدم له الشاهي ، وطرح له بعض النكات ليخرجه من الهم البادي عليه فلم يفلح .

فتوجه عم عبده إلى صبري قائلا : يا صبري ليش أنت مهموم (مقا شفتكش) كذه !! زعلان على أصحابك الشهداء ؟ هؤلاء خالدون وأحياء.

- لا يا عم عبده مش زعلان رغم أن فراقهم مؤلم .. هؤلاء فعلا أحياء.
- طيب أيش زعلك ؟ زعلتَ لأن الجماعة تقدموا .. هذه حرب كر وفر.
- لا يا عم عبده هذا التقدم لن يدوم ، لقد أوجعناهم وغدا نزيحهم.
- طيب ليش زعلان؟ أكربتنا.
- زعلان يا عم عبده من الخذلان .. تدري هذا التقدم تم بسبب نفاد الذخيرة ، كيف تحارب بلا ذخيرة ! تأتينا الذخيرة بالقطارة وأصحابنا في قيادة المقاومة يشحتوا في كل جانب من أجل توفير الذخيرة والغذاء للمقاومين .

تصور مضت أشهر ونحن نعيش أقرب إلى المجاعة ، وأنت عارف كيف يكون حرب وجوع يا عم عبده ؛ والله لولا الإيمان والعزيمة لوجدت الجبل وبقية مواقع المدينة قد سقطت زمان!

هناك خذلان ما يا عم عبده نصبر على الجوع لكن كيف نعمل بالذخيرة.

العم عبده وبصوت واثق: هذه هي طريق النصر يا صبري ، والله إنكم منصورون.

- صبري: أنا واثق أننا منصورون ، لكنني حزين.. أنت الآن مشكور عشيتنا وأصحابي في الموقع الأمامي بدون عشاء ، تصور ربما يبيتون جياعا ومنتظرين العدو!

يمتعض العم عبده ، ويبدو عليه الحزن وينهض خارجا.

- إلى أين يا عم ؟ شارجع الآن أنت ارتاح بس .

بعد نصف ساعة تقريبا ينادي عم عبده (صبري) ويطلب منه أن يحمل الجونية إلى زملائه ..

- أيش هذا؟

- هذا عشاء أصحابك ، كان العم عبده قد ذبح إحدى أغنامه بعد ما سمع حديث صبري !

- قال صبري : والله لو أنا عارف ما أخبرتك ، والله إحراج.

- مش إحراج ، هذا واجبنا ، أنت مش عارف أنكم أعدتم لي الحياة والأمل بقدومكم بهذه الصورة بعد ما مت منذ مدة ، أنا ميت منذ ثلاثين عاما و أكثر !!

أخذ صبري الجونية المليئة بلحم الماعز مسرورا ليفاجئ زملاءه بعشاء دسم.

عندما عاد صبري وجد الراعي عبده مدّثرا بغطاء في زاوية من حوش البيت في ليلة مقمرة ، وهو يسحب الدخان من (مداعته) ببطء ، وقد رسم رسمته المألوفة على كرتون أمامه (المرأة و الطفل)، ويستمع بإمعان إلى أغنية أيوب طارش المفضلة.

يا من رحلت إلى بعيد ★★★ قصّر مسافات البعيد

يا آخر الألحان في ★★★ وتري وخاتمة النشيد

يا آخر الأشواق في ★★★ سهري وفي قلبي العميد

يا آخـــــــر الأوراق في ××× زهري تساقط في الجليد

يا آخـــــر الإشراق في ××× عمري وآخر وجه عيد

لا تدخـــــل النسيان أو×× × ما فيك من صمت وبيد

فلربما عـــــاد الهوى××× و أعادك الله المعيد

أيش هذا يا عم عبده ؟ أنت الليلة سارح بعالمك البعيد .

أهلا يا صبري ، رجعت هيا ندخل .. برد.

عندما دخلا الغرفة ، فتح العم عبده شنطته الحديد ليخرج اللبان الشحري ظهرت على باطن الشنطة العلوية صورة مكبرة لشخص ، لفتت نظر صبري ليقول:

هذه صورة من يا عم عبده .. قل لي أمانة؟

هذه صورة عبد الغني مطهر، واحد اسمه عبد الغني مطهر ..

صبري: عبد الغني مطهر اللي كان عضو المجلس الجمهوري بعد الثورة ، وأول محافظ لتعز.

سكت عم عبده ، كمن فوجئ بمعلومات صبري ، ثم قال بتلكؤ: أيوه هو.. وأغلق الشنطة.

- و أنت أيش علاقتك به؟
- ولا حاجة ، صورة وبس.. قم ارقد.
- عم عبده : احنا أصحاب ، لكنك لا تعاملنا كصديق.
- لا لا.. أنت أكثر، أنت أخي وابني.
- طيب اشتي أعرفك يا عم عبده .. على الأقل علاقتك بمطهر والثوار وأصحابه ، وخبرتك التي تظهر في أمور الحرب .

والثاني؛ حكاية الصورة التي ترسمها أتخيل أحيانا أنك صاحب قصة حب حزينة.

- اسمع يا صبري: أنا شا خَبِّرك بكل حاجة بس مش الليلة .. المرة الثاني.. بكرة.
- بكرة مش موجود عندي مهمة ...؟

- تمام عندما ترجع بالسلامة .. يقول عم عبده وهو يدخل بعض الأشياء في شنطته، ويظهر شيئا ملفوفا بعناية.

- قال صبري: و أيش هذا؟

- هذا شي أحبه كثيرا، قال عم عبده ـ منشرحا ـ اسمع.. أنا باوصّ أن هذا لك وصية بعد موتي.. يناسبك.

- أيش هو؟

- عم عبده: شتعرفه بعد ما أموت.

- عمرك طوييل إن شاء الله.

- المهم يا صبري شكتب عليه هكه.. يأخذ القلم وبخط متكسر يكتب وهو يضحك:)إذا مت يسلم هذا إلى البطل المقاوم صبري(.

- صبري: وما دراك إنك شتموت قبلي.

- يصمت عم عبده وينظر إلى صبري مليا ويقول: أنا باموت قبلك، انتبه تسيبنا ..

مش ناقص أوجاع يابني!

صبري: الأعمار بيد الله.. لكن اسمع؛ يأخذ الشي الملفوف ويكتب تحت كتابة عم عبده هذه الجملة: (أنا صبري، اذا استشهدت فهذه الوصية تنتقل لصاحبي أحمد).

كان عم عبده يضحك بصوت مرتفع ، لكنه فجأة سكت وأخذ يسرح بفكره.

- صبري: مالك يا عم، أيش في؟ بأيش تفكر؟

- أفكر بالفرق الكبير بيني وبينك.

- أيش من فرق ؟ قتلتنا بالطلاسم حقك يا عم عبده !

- شوف الفرق الكبييير .

أنا كتبت. أنا إذا مت (أنت كتبت) أنا إذا استشهدت.

هذا هو الفرق بيني وبينك وبين جيلي وجيلك ، وهو فرق كبييير..

نحن اعترفنا بالموت وخفنا منه، فربطونا جميعا بلبَّة (حبل) ، وعسكري يحبس مدينة .

أنتم لم تعترفوا بالموت ، شوف كيف فعلتم .. أعدتم الاعتبار للكرامة ، وعجزت كل قواتهم عن أن تمارس عنجهيتها عليكم .. هم الآن يلعنون اليوم الذي قدموا فيه إلى تعز .. هذا الفرق كبير كبير يا صبري.

- صبري و لهذا يا عم عبده أقللك تقلي من أنت أيها الراعي الكبير .. من أنت يا عم عبده؟؟

- أنا الراعي عبده .. أنا جيل كامل طعُن من الخلف وفحُست أحلامه تحت البيادات وخوف الناس وفرقتهم .. وأنتم أحييتم كل شيء .

- أنت الآن تزيد فضولي لمعرفة حكايتك طبعا وحكاية الصورة والولد مهم . (يضحك).

- عم عبده: خلاص اتفقنا عندما ترجع .

- صبري: هذا إذا رجعت.

عم عبده (بنبرة مرتفعة) : أقللك لا .. شترجع .. انتبه .. أنت الولد اللي بالصورة ومش ناقص وجع .. منتظرك.

كان واضحا أن العم عبده قد تغيرت أحواله مع قدوم المقاومين إلى الجبل ،وزادت حالته تحسنا ، وتخلص من الهم الملازم بصداقة صبري ، وكأنه أزاح كميات من الحزن كانت تلازم الراعي الغامض.

في الصباح ، ودع العم عبده صاحبه صبري الذاهب إلى مهمة جديدة ، على أمل أن يعود قريبا ليبوح له بماضيه وغموضه.

الحلقة السادسة

عندما غاب صبري عن عم عبده أحس بفراغ ؛ فصبري ملأ عليه وقته وخلصه من كثير من الهموم والأحزان المصاحبة ، وخفف انطواءه مع ذكرياته المختلفة .. أحس أنه بحاجة إلى صديق يقضي معه الوقت ويستدعيه إلى البيت حتى يعود (صبري) صاحبه .. بحث عن (أحمد) فلم يجده تذكر (عبده الجوبني) هذا مقاوم شاب ومتميز بينه وبين (عم عبده) مودة ولو أنها لم تتعمق بقدر (صبري) ، سأل عن (الجوبني) فأخبره كل من سألهم: لن تجد عبده الجوبني إلا في المترس.

وصل عم عبده إلى مترس عبده الجوبني .. كان يوما هادئا .. .استقبلوه ببشاشة فهو معروف بصديق المقاومة ودعمه وخدماته سابقة .

طرح عم عبده على الجوبني وترجاه أن يزوره وقت فراغه وبيته مفتوح.

ضحك الجوبني وهو يقول: لما أكون فارغ ، لكن لا يوجد فراغ هنا ، نحن في مواجهة مستمرة وأنا لا أترك مترسي أبداً .

- عم عبده : قصدي لما يكون مش (زامك) .

- أنام هنا.. واستريح هنا يا عم عبده.. شكرا لك على كرمك أنت مرحب بك في أي وقت، لما يكون عندي استراحة تعال هنا نجلس في المترس أنا وأنت ونتجابر ..

أنت رجل عظيم كل الناس تحبك.

- أنا صاحبك أعزمك تجي شاعمل لك عشاء وأعطيك لبن ونتجابر.

- القائد نبيل: لا تتعب نفسك يا عم.. هذا عبده الجوبني لو انتقلت هذي الصخرة سينتقل إلى خارج المترس.

وحكاية الشاب الجوبني معروفة؛ فهو لا يغادر المترس في كل الأحوال شأنه شأن عدد من المقاومين أطلق عليهم (جماعة الصخور) وهم أناس غريبون؛ لا يغادرون متارسهم، ثابتون وكأنهم جزء من المكان، ولهذا سموا بجماعة الصخور.. يعود

إليهم الفضل في صد أشد الهجمات وإفشال كل التسللات الخطرة التي نفذتها كتائب الموت والحسين وما شابه.. لو تحرك الصخر هم سيتحركون تقريبا .

يؤكد القائد منصور كيف صد مقاومو الجبل هجمات خرافية ويذكر تحديدا هجمات رمضان الماضي ١١ ، ١٣ رمضان ؛ فهم أعدوا كل شيء لضمان سقوط الجبل .. نصبوا دبابة في الزنقل غرب الجبل ومدفعا ودبابة في الوعش وأخرى في الخمسين وثالثة في الستين شمال الجبل ودبابة في الحرير وسوفتيل شمال شرق ، ودبابة في الدمغة جنوب شرق ، وفي القاهرة مدفع ، إضافة إلى صعود دبابة إلى منطقة (الكشار) في مشرعة وحدنان ومدافع الحوبان ومدينة الصالح.

والكلام للقائد منصور: وتخيل مصادر النيران المحيطة بالجبل بهذا الشكل المرعب تنطلق مرة واحدة على موقع الجبل وتحيله إلى كتلة من نار ثم تتقدم كتائب الموت والحسين التي اقتحمت عمران وصنعاء ، وكانت تحضر في المواقع الحرجة إضافة إلى الحرس العائلي عالي التدريب.. .كيف سيصمد أفراد من الجيش الوطني والمقاومة محدودو العدد والعدة أمام كل هذه القوة !!

يقول القائد ماجد : مؤكداً : هذه الروح المختلفة هي التي صنعت الفارق.

في ١١ رمضان صرح قائد الهجوم بأن الجبل ساقط وإنهم لن يفطروا إلا في الجبل وعندما بدأ الجبل بالاحتراق أكد سقوطه وأعلنت قناة المسيرة بحزم هذه المرة سقوط (جبل جرة) ، مع وعد بنقل صور من الجبل بعد تمشيط الألغام التي وضعها المرتزقة من الكلومبيين وجماعة !!! (.....)

يقول القائد منصور: احترق الجبل يومها ولم يبق مكان ميت (يعني لم يحترق) المكان الوحيد الميت كانت البوابة، لكنهم طلعوا دبابة إلى منطقة منتزه زايد في صبر وضربوها وأصابوا ماسورة الدبابة التي انسحبت إلى الشارع بعد ما حاربت وحدها على كل اتجاه.

وتحت هذا اللهب صمت الجبل واستكان ولم يعد حتى يتنفس أو هكذا تبدى لهم، ليدفعوا بكتائبهم الخاصة تحت أقوى تغطية نارية وغير مسبوقة لكنها جوبهت بصخور الجبل (الإنسان) بروحه المقاوم وقتل من الغزاة عدد كبير من النخبة .

يقول أحدهم: ومن تلك المعركة بدأت تظهر مقابر خاصة في المحافظات التي قدم الحوثة منها عُرفت بمقابر (حبل جرة) .

يسأل الأستاذ (عبدالرحمن) : وكم كان عدد الشهداء في الجبل؟ ليأتي الجواب المحير: الجرحى وصلوا (٤٥) جريحا تلك الليلة، أما الشهداء فلم يسقط أحد، ولكنهم سقطوا بعد يومين في معركة (١٣) رمضان ؛ حيث سقط خمسة شهداء منهم العقبي والغشم، وجرحى منهم قائد الجبل ويوسف زميل الشهيد (العقبي) الذي كان يضرب على رشاش الدبابة ببسالة الصخور، يؤكد القائد (منصور) مستدركا بأن يوسف لم ينسحب ولكنه سحب جريحا.

- عم عبده (الذي كان ينصت منتشيا) : أنا فداء للجبل صخوره وناسه .. صاحبي الجوبني من الصخور .. أنا حميسك واعبده ، و قام ليقبل رأس عبده الجوبني وزملائه في المترس وهو يقول: أيوه أنا حميسكن وفداء عرفكن (وبعدين الناس يقولوا أيش القوة التي تجعل الجبل بكل هذا الصمود) .. خلاص يا عبده أنا بازورك كل يوم ، واللبن عليا ، والله إنكم ترفعوا الرأس.

ذهب عم عبده وعاد بعد ساعة ومعه حليب الماعز وبعض الخبز للجوبني وأصحابه في المترس ، وقضى معهم وقتا بعد العشاء يتجاذبون الحديث .

حين بدأت (نوبة) الجوبني ، استأذن عم عبده واعدا بزيارات متكررة .

اصطحب عم عبده معه الأستاذ عبد الرحمن أحد المقاومين ، والذي يسكن قريبا من عم عبده بعد أن انتهى دوره في الحراسة ، وفي الطريق سأله عم عبده :

يا أستاذ من أي قرية عبده الجوبني ؟

- الأستاذ عبد الرحمن : عبده الحويني من محافظة إب .. من جبن .. بمجرد سماعه بالمقاومة في تعز قدم بمفرده يسأل عن القائد نبيل الذي سمع عنه كثيراً ، والتحق بالمقاومة ، ومن حينها وهو يقاتل بقيادة صاحبه نبيل .. والله في هذا الجبل رجال لا يقدرون بثمن وأخذ يحدثه عن قصص جماعة الصخور وغيرهم من المقاومين ، ومشاهد لا تصدق من القوة والفداء منهم عبده الجوبني وعمار وهائل وشداد وسلمان وخلدون ، وهم كثيرون هنا، بعضهم لا تأبه له وعندما تعرفهم يكون وجودهم مصدرا للأمان .

في ليلة اليوم الثاني بدأ الهجوم على الجبل بقوة تعذر معه زيارة الراعي لصاحبه.. كانت معركة شرسة ، وما أكثر المعارك الشرسة التي تحرق الجبل بمئات ، بل بآلاف القذائف والصواريخ ، يتبعها موجات من المجموعات التي يكون مهمتها الاقتحام الذي ينكسر دوما أمام شباب وصخور الجبل .

استمرت المعارك ، وتجددت عصرا .. قبل المغرب ، وعند هدوء المعارك احتلب عم عبده إحدى غنماته ليقدمه لصاحبه وزملائه من صخور الجبل .. أعجبته حكاية صخور الجبل .

عندما اقترب من موقع (الجوبني) قابله (سفيان) قائلاً : مبروك عم عبده .

- على مو يا بني .
- على صاحبك عبد الجوبني .
- ماله ؟
- استشهد.. استشهد.
- تسمر عم عبده في مكانه.. ...لاحول ولا قوة إلا بالله .. أين استشهد ؟
- أين يمكن يستشهد (الجوبني) !! استشهد في مكانه هنا في مترسه الذي اختاره .

بعناية... والله إنهم كانوا ثلاثة في هذا الموقع فقط استشهد عبده ونال ما طلبه .. لقد صدوا جيشا بأكمله.

نظر عم عبده حول المترس .. كانت جثث الحوثيين متناثرة توحي بحجم المعركة وشراسة الهجوم .. عاد مكسورا وهو يردد:

يا قهري يا قهري كم من الجبال تغيب في هذا الجبل .

قال الأستاذ عبد الرحمن الذي عاد مع عم عبده : أنت مقهور على الجوبني وهو يستحق القهر ، نعم كان جبلا صعد بلا ضجيج ولا أضواء.. . هو وأمثاله هنا يصنعون المجد وينيخون التاريخ ويرسمون المستقبل ويصححون مسار الزمن صدقت أيها الراعي (كم من الجبال تغيب في هذا الجبل) كان الجوبني أحدهم .. الله يرحمه .. تصور يا عم عبده قبل ثلاثة أيام عندما شعر الجوبني بالأزمة

المتعلقة بالتغذية وأحس بمشكلة قلة الأفراد أرسل إلى القائد نبيل رسالة يقول فيها:

(أنا مستعد أغطي التبة وحدي بالمقدمة وواحد بالمدخل .. حتى يأتي قدر الله!!)

وهذه نماذج الرجال هنا .

- عم عبده: وهذا سر القوة ومفتاح النصر.. .؟

وصل عم عبده والأستاذ عبد الرحمن إلى البيت .. تعشوا (فطيرة غَربِ) ولبن صلوا العشاء ثم قام عم عبده يجهز (البوري) الذي اعتاده ليلا .. كان منهكا وحزينا على صاحبه الجوبني ، بالرغم من أن حكاية الشهداء ظاهرة متكررة .

بدأ يجتر نفسا عميقا من (مداعته) وأخذ يقلب(شنطة) الأشرطة التي يغلب عليها أيوب طارش وبعض أغاني أبو بكر والآنسي وأناشيدهم الوطنية ، أخرج هذه المرة شريطا عندما فتحه كان لأغنية (برع يا استعمار) .

قال الأستاذ عبد الرحمن هذه أغنية معركة التحرير ضد المستعمر الإنجليزي.

عم عبده : هذه كلمات (عبد الله هادي سبيت) .. أيوه هذا معروف .. من مناضلي حرب التحرير وهو صاحبي .

- كيف يا عم عبده ؟! شتطلع لي من مناضلي حرب التحرير كمان !

- لا ولا شيء هذا (هادي سبيت) صاحبي من هنا من تعز.. وقد هرب من الصراعات كغيره وعاش بتعز ومات بتعز بعد الوحدة.. كان طيبا وحنونا .

عبد الرحمن : مش معقول؟

- ليش مش معقول ؟ يا بني أنت صغير ما تعرفش تعز.. تعز كانت مأوى كل اليمن .. شوف كل قادة التحرير كانوا هنا بتعز وانطلقوا من تعز ولما تصارعوا هربوا من بعضهم إلى تعز ! وكانت تعز بيت الجميع ؛ حتى العلامة محمد سالم البيحاني أكبر عالم بالجزيرة العربية هرب من عدن وعاش في تعز وكان يحب تعز وتحبه ، وأذكر أن رجل الخير هائل سعيد الله يرحمه كان يحبه وصاحبه .

البيحاني الآن قبره بجانب منارة أكبر مسجد بتعز مسجد المظفر، وقبره معلم من معالم تعز، كان صالحا ومن أولياء الله.. .تعز يا بني أم تحتضن كل اليمنيين..

تلملمهم وما تفرقش .. الآن تعز تضحي من أجل اليمن .. يمر منها الشهداء إلى كل اليمن .

وقبل أن ينصرف الأستاذ عبد الرحمن قال (شاقرا) لك يا عم عبده رسالة أرسلها (الجوبني) قبل استشهاده بأيام إلى القائد نبيل توضح روح ونفسية وقوة رجال المقاومة وأسطورة الصمود .

- أيش الرسالة .. اقرأ يا بني اقرأ .

يفتح عبد الرحمن تلفونه ويقرأ رسالة الجوبني إلى قائده .. كانت عبارة عن متفرقات شعرية غاية في التعبير على النحو الآتي :

أنا يا بلادي من أنين التراب *** ومن غضبة الجمر هذا الخطاب
وتبكي الملايين في مهجتي *** وينزف دم الشهيد المهاب
أنا يا بلادي الوريث الصغير *** عزمت ولن أعلن الانسحاب
سأصنع من صرخة الجائعين *** زلازل تمحو عروش اليباب
وأشفي غليل الذي في القبور *** وافتح للنور مليون باب

ومن دون شعور نهض العم عبده واقفاً وهو يصرخ الله الله .. وأفتح للنور مليون باب !!!!!

هذا هو النصر يا عبدالرحمن ، وهذه هي القوة .. قوة الله الجبار ، ومثل هذه الروح لن يغلبها غالب .

- هيا أستأذن يا عم عبده مع السلامة ـ يقول الأستاذ عبد الرحمن ـ
- عم عبده : اجلس اسمر .. اليوم ما فيش حتى معارك .
- تمام ننام على الأقل اليوم لنا يومين ما ننام .
- مودع .. الله معك.

بعد خروج الأستاذ عبد الرحمن أخذ عم عبده يجتر الدخان من (مداعته) .. (وفتح انشودة)النشيد الوطني (رددي أيتها الدنيا نشيدي .. التي كان مغرما بها . عندما انتهى النشيد دخل في حالة صمت مع الليل والقمر والهدوء غير المألوف تلك الليلة .. الهدوء الذي كان مصحوباً بشعور الوحشة ؛ فعادت هواجسه ونزاعاته الحزينة فوجد نفسه يفتح أغنيته المفضّلة عندما يغوص في ذكرياته وأحزانه

يا من رحلت إلى بعيد *** قصر مسافات البعيد
يـا آخــر الإشـراق في *** عمري وآخر وجه عيد
كان يستحضرها عندما تحضر أشجانه وأحزانه التي خففها وجود صبري.
كان الهم يفتح ذراعيه والأحزان تهجم مثل الأمواج.. شعر بوحشة وتذكر صاحبه صبري وبسرعة لملم مداعته من(الحوش) ودخل البيت مغلقا عليه الباب وكأنه يهرب من شبح يطارده .
(يا الله كم هي الحياة قاسية وضيقة) قالها ثم اتجه إلى مصحفه القديم ليقرأ قبل المنام ويطرد من نفسه الضيق .
أحدهم يدق الباب على غير العادة وبدون سؤال اتجه ليفتح الباب ، وكانت المفاجأة أن يرى أحمدَ صاحبَ صبري .

- أهلا أحمد .. الحمد لله على السلامة .. اتفضل .. أين صبري ؟
- صبري يبلغك السلام .
- ليش ما رجعش معك .. وإلا روح القرية .
- لا لا .. ذهب في مهمة خاصة .
- الله يحفظه .. ذهب هو ومن؟
- هو وأصحابه عمار وشداد و شباب من لواء الصعاليك .
- العم عبده : الله ما أحسن وأطهر (صعاليكك) يا تعز، وشداد صاحب المسراخ ، وعمار صاحب خدير أعرفهم الله ما أحسنهم .. مثل صبري تماما .. أنتم يا أحمد كل واحد أحسن من الثاني ، والحمد لله أنني عشت حتى شفتوكم وعشت معكم .
- بس صبري سيتأخر صح ؟
- لا لا.. با يرجعوا قريب.
- اتعشيت ؟
- أيوه.

- شاندي لك لبن.. وعندما صب كأس اللبن قال: شوف يا أحمد.. صبري قال شرجع بعد يومين والآن له عشرة أيام .. قد أنا خائف إننا ما أحصلوش ولا أبوح له بما كان يطلبه .

الحلقة السابعة

إلى جانب صداقته للعم عبده الراعي المسُن كان صبري صديقا لـ فواز (راعي الغنم الطفل الذي لا يتجاوز ١٣ عاما ، والذي كان أيضا صديقا لشداد وعمار زملاء صبري وأصدقائه المقربين .

نال الطفل)فواز(إعجاب الجميع بخفة دمه وذكائه الحاد و شجاعته المدهشة فهو صغير يحمل قلب أسد كما و صفه عمار .. يتيم الأب و بيته في سفح الجبل يعيش مع أمه و أخواته .. كسب ثقة القيادة حتى أن بعضهم طالب بتجنيده في المقاومة، فرفضت القيادة لصغر سنه ، ومع هذا كانوا غالبا ما يكافؤونه ، و كان شداد وصبري وعمار يحرصون دوما على التذكير بصديقهم (فواز) ومساعدته وأسرته ؛ فقد كان وسيلة معلومات دقيقة ويقدم خدمات مختلفة .

ذات يوم قابل (فواز) اثنين من مسلحي الحوثي يسألون عن موقع المجاهدين كانوا قادمين لأول مرة ، عرف فواز أنهم تائهون ـ بما يملك من ذكاء ـ وعلى الفور قال لهم تعالوا بعدي إلى المجاهدين .. ويؤكد لهم مستفسرا.. (أنصار الله) ؟؟

- أيوه أنصار الله (أبو تراب) تعرف (أبو تراب) ؟

- أيوه أعرفه موجود تعالوا .. أخذهم مباشرة إلى موقع المقاومة وبحركة ذكية أثارت انتباه أفراد الموقع غمز بعينه اليسرى ؛ جبتوا لكم مجاهدين هذول حوثة يدوروا (أبو تراب) .. تفضلووا .

عندما قبضوا على المسلحين وأخذوا سلاحهم التفت أحد المسلحين محدقا تجاه الطفل وهو يقول ..) ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا .

فواز يرد بعفوية : والله ما كافر ابن كافر إلا الذي يقتل الناس ، مو جئت تدور أمك عندنا .

كانت صور تفاني الناس أو ما تبقى منهم تعطي المقاومين دفعات قوية من الروح و الحماس ، و كانت صور متعددة و متداخلة إلى حد التماهي بين المقاومين و الناس نساء و رجالا وأطفالا .

مع اشتداد الحصار انعدم الغاز أو كاد فاعتمد المقاومون على الحطب وذات يوم سقطت الأمطار بغزارة ؛ فتعذر استخدام الحطب ، وعندما شاهد الطفل الراعي (فواز) ذلك انطلق إلى البيت ليخبر أمه .. لم يكن لديهم غاز هم أيضا لكنها التفتت إلى ولدها و هي تقول : اسمع يا فواز روح لا عند عمتك رقية (جارتهم) وخبرها ..

عادهم حصلوا غاز .. قع رجال .

رقية كان لديها اسطوانتان .. عندما أخبرها فواز لم تتردد فنزعت اسطوانة الغاز الأولى من الفرن وخرجت تحملها على رأسها ، وتدفع الأخرى بقدمها بين المطر الذي عاد ينهمر، ثم أخذ فواز يساعدها في دفع اسطوانة الغاز الثانية ، وعندما رآهم (شداد) أسرع ليحمل الاسطوانة التي يدفعها فواز ، لكن فواز أصر بدوره أن يحمل الآلي حق شداد! وعندما تردد شداد أصر فواز وهو يقول أنا صاحبك وبعدين مو .. ما ناش رجال ؟!

ناوله شداد البندقية و هو يقول إلا رجال و أبو الرجال .

في الطريق تفاجأ شداد و هو يرى صديقه الطفل يطلق رصاصة تجاه أحد أفراد الحوثيين عندما ظهر في الطرف الآخر أوقفه شداد غاضبا :

- مو تعمل؟
- شوف آذاك حوثي خلينا أرمي أبوه .
- لا مش الآن شقنصونا.. ..جيب الآلي .
- خلاص خلاص ما شرميش أمانة أمانة.

حول شداد الطريق مبتعدا عن القناصة .

- رقية : الله يقصف عمرك و (فواز) شتسبب علينا بلاش .. عادني تخارجتو من القنص (حتمه) ، كنت جنب (سارة) كنت أني و هي وسلمى بنت أحمد عندما خرجت تسعف واحد قنصوه بالشارع خرجنا جنبه وقبل ما تسعفه قتلونهٍ جنبه .. الله على قهر كانت طيبة وحنك .. الله يقتلهم يقنصوا (المكالف) مو من أوادم آذون ؟

- فـواز: يقنصوا كـل شـيء حتـى البسـس و الكـلاب و الغـنـم .. أي حاجـة تتحرك يسكعوها حتى لو قرطاس ! أمس قنصوا ابن عمره أربع سنين من قدام بيتهم ..

خاصة القناص الأعور أنا أعرفه .. اليوم كنت اشتي استقضي ما خليتوناش .

عندما وصلت رقية شكرها قائد الموقع و هو يقول كان ما فيش داعي سنتدبر أمرنا .. ويسأل أيش باقي معاكم ؟

- ولا دبة بس عندنا حطب أنتم أقدم .

حاول قائد الموقع أن يدفع قيمة الغاز فرفضت (رقية) وهي تؤكد : أنتم تبذلون أرواحكم واحنا مقصرين .. و لا تحرجوا والله إنكم شرفنا .. الله ينصركم.

التفت القائد إلى الطفل فواز .. .أهلا بالمقاوم الصغير روّح لك.

قال الصغير: أنا المقاوم الكبير الكبير مش الزغير .

هههههه .. يضحك صبري و هو يقول كبيير و الله كبير يا صاحبي.

يضيف القائد : والله إن هذه الروح من الناس رجالا و نساء و أطفالا هي العطاء الحقيقي و الدعم الكبير الذي يعطينا الإصرار ويشعرنا بالسعادة .

أحمد (مخاطبا صبري) : الله لا يقطع على آلف ... الرعيان أصحابك ، هناك الراعي عمي عبده و هنا الطفل فواز .

صبري : والله إنني سعيد بهم هؤلاء عظماء أجد نفسي معهما بين جيلين ؛ العم عبده يحدثنا عن الأجيال وكأنه دكتور جامعة ، فأرى فيه ماضي الغموض والحزن والقهر والغلائب والنضال المغدور، وأرى في صديقي (فواز) الأمل والقوة والوضوح و التحرر من الخوف .. تصدق يا أحمد .. اشتقت لـ (عم عبده) وتأخرت عليه كثيرا وعدني عندما أعود أن يخبرني عن كل شيء في حياته .

أحمد : تشتي تعرف سر الصورة هههههه .

- لا لا .. الصورة واحدة بس هناك أهم من الصورة في تاريخه.

الحلقة الثامنة

لم يتردد العم عبده عن فتح بيته لقيادة المقاومة بعد اقتراب الحوثين وسيطرتهم على بيت عبد الصمد لقربها وموقعها الجيد ، وبنفسه أدخل القائد نبيل ليعرض عليه اتخاذ بيته موقعا مؤقتا لقيادة المعركة .. أدخلهم وعاش هو في المطبخ بينما غنماته في الحوش ؛ فهو يعيش مع المقاومة لحظة بلحظة .

في اليوم الثاني أضاع المسؤولون عن البيت المفتاح ، وكانوا بحاجة إلى إخراج الذخيرة بشكل سريع ؛ فالمعركة قائمة ووجدهم عم عبده يحاولون (نشر) القفل بالمنشار ، لكن هذا العمل لم يعجبه فأخذ (الصَّبَرة) الحديد من الحوش وحضر ليقلع الباب و ليس القفل قائلا الوقت لا يسمح بالتأخير !

أربعون يوما وجماعة الحوثي و المخلوع مسيطرون على الجهة الشمالية من الجبل، كانت ، نقطة التماس والموقع الخطير عمارة عبد الصمد بموقعها الذي يمكنهم من حصار المقاومة ، وقطع الطريق وقنص المقاومين والمدنيين في الجبل إلى وادي القاضي الأسفل .. لم يقعد المقاومون ينتظرون ؛ فلقد حاولوا الهجوم أكثر من عشرين هجوما .. وكانت المعارك مباشرة حتى جاء يوم العزم .. قرر الشباب أن ينهوا هذا الخطر ، مهما كانت النتيجة ، و كان على رأس هؤلاء صبري وشداد وصلاح ورشاد وفؤاد والمقرمي وآخرون بجانب القيادة المتوثبة .

بدأت المعركة في ٢٠١٥/٧/١٠م .

كانت معركة تشيب لها رؤوس الأطفال و تصفر منها عين الشمس .. كان الاشتباك وجها لوجه ومن المسافة صفر، وقد سقط الشهيد خلدون المقرمي بعد يوم من بدء المعركة .

كان هذا البيت هو المقدمة التي أعد فيها الحوثيون كل وسائل الدفاع مع مقاتلين مستميتين .

عندما استعصت لم يفكر أحد بالراحة أو إنهاء المعركة رغم مرور أيام من المعارك الملتهبة ، قرر (شداد) أن يضع منفذا في السور .. كان فتحُ السور النقطةَ أو العقدة التي ستسقط المعقل ، فهجم وهو يحمل متفجرات إلى جنب السور

واستطاع زراعة المتفجرات بفدائية مدهشة ، وتحت مطر من نار زرعها وفجّر السور ، وكان هذا التفجير هو العقدة التي فتحت السد وحققت الانتصارات المتتالية حتى الوصول إلى منطقة الزنوج .

دخل شداد وزميلاه العمارة بعد أن أسقطوا ثلاثة من القناصة ؛ فقد كانت العمارة موقعا عسكريا محصنا ، وكانوا يعَدون الدخول إليه من المستحيل.

يقول القائد نبيل : كان شداد بطل هذه المعركة واصفا شداد بأنه كان كتلة من النشاط و سيفا حارقا من الشجاعة والإقدام وخدمة زملائه.. كان شخصا استثنائيا والانتصارات تحتاج إلى شخصيات استثنائية.. تبعه ثلاثة من زملائه وبقى الآخرون يديرون المعركة خارج السور يواجهون مسلحين في السطح والغرف شجاعة شداد وزملائه الاقتحامية أفزعت المسلحين فأصيبوا بالرعب .

فبدأ كل واحد منهم ينسحب أو يفر أو يقفز من السقف أو يسقط صريعا ، وبعد ثلاثة أيام انتهت المعركة وكسرت عقدة عمارة عبد الصمد وانفرط العقد وطارد الشباب العدو ليحرروا المناطق والحارات التالية وصولا إلى بيت النهاري والزنوج حتى مدرسة عبد الله بن المبارك .

يقول والد شداد : ولد شداد في ١٩٩٦م ، ورغم صغر سنه كان من أوائل من خرجوا في ثورة ١١ فبراير وتواجد في كل المسيرات ، وجرح أكثر من مرة ، وكان يخرج من المستشفى إلى المظاهرات التي كانت قائمة حينها كثورة شعب .

لقد أنجز النصر لكن الانتصارات لها ثمن وفي هذه المرة سقط شداد البطل صاحب الروح الوثابة شهيدا ومعه إخوان له هم حكايات من الطهر والبطولة ..استشهد صلاح ورشاد وفؤاد الشعوري من محافظة إب في المعركة وجرح أكثر من ٤٧ مقاوما.

اقترب العم عبده من منطقة المعركة كعادته ووجد الناس يتحدثون عن هول المعركة وعن الأبطال الذين كسروا المستحيل .. كان اسم شداد يتردد لقد استشهد شداد إذاً .. قال العم عبده كلمته المعبرة : وآقهري عليك واشداد.. واقهري على الأبطال .. لكن مه .. هذه هي حياة المجد ، يحدث من حوله .

في المستشفى يقف والد شداد أمام ولده ذي التسعة عشر ربيعا وهو جثة باسمة مثل القمر، كان القائد نبيل يخاف من هذه اللحظة .. لحظة مقابلة والد شداد ، وعندما نظر والد شداد إلى القائد احتضنه مستبشرا وهو يقول : كيف رأيت شداد يا أستاذ ؟ هل يستحق الشهادة عن جدارة ؟

- عظم الله أجرك يا والد .. شداد بطل و قائد .. عصم الله قلبك .
- يا أستاذ أنا متوقع استشهاد شداد في كل لحظة خاصة في أيامه الأخيرة لقد ودعنا وودع أمه بشكل ملفت كأنه مسافر يشد حقائبه إلى مكان بعيد .

ويضيف والد شداد : لو لم يكن لي من الدنيا غير شداد لكفاني شرفا وذخرا.

- أنا الذي سأفتقد شداد ادع لي .
- كان شداد يعتبرك الأخ والقائد .. كان يحدثني عنك كثيرا يا نبيل.

في اليوم التالي حضر والد شداد إلى الجبل يحمس المقاومين ويؤكد لهم أنه سيرسل أخ شداد إليهم ليحل محل شداد على درب الشهداء .. كان شداد الذي ينتمي إلى الأقروض مديرية المسراخ من الحاضنة الشعبية لجبل جرة ؛ فهو من سكان الزنوج بالقرب من مدرسة عبدالله بن مبارك حيث بنى والده منزله هناك.

إنها طريق متصلة ومشرقة بنور التضحيات حتى النصر.. يحدث والد شداد زملاء الشهيد فينفخ فيهم روحا لا تنطفئ .

كان يوما عصيبا على المقاومة و هم يودعون خيرة شبابهم ، وكان العم عبده أكثر حزنا وهو يعرف جيدا الشهداء ولكل واحد معه قصة .

أخذ عصاه متثاقلا وكأن على ظهره أحمال الدنيا وأحزانها .. في الطريق يقابله عبدالرحيم الذي يسأله:

مالك يا عم عبده اليوم تعبان وإلا أيش ؟

أيش من تعب ؟ صلاح و رشاد وشداد و خلدون نفقدهم بيومين .. هؤلاء أبطال جيش كامل مش أفراد .. و الله إني مفكود يا عبد الرحيم .

كان عم عبده قد سأل عن صاحبه صبري بعد المعركة ؛ فلم يجده بين الشهداء و لا بين الجرحى .. كان يحدث نفسه ، إن صبري سيزوره الليلة ليخفف

من أحزانه على الشهداء ، ويخبره عن الانتصارات وحكاية الأبطال ، وكيف فرت مجاميع القتلة .

عندما وصل إلى البيت كان شديد الإنهاك إلى درجة أن أحمد صاحب صبري الذي كان ينتظره أمام المنزل قد أسرع لمساعدته في الدخول: سلامات عم عبده.

و لا حاجة أنا بخير يا أحمد بخير.. وجلس أمام الباب ... كيف حالك؟ وين صبري؟

- صبري بخير .
- أعلم أنه بخير .
- يبلغك السلام .
- يبلغنا السلام يعني إنه ما شيجيش عندي.. صبري نسانا يا أحمد .
- لا و الله يذكرك دائما .
- واينه ؟
- هو ضمن من كلفوا في التقدم لترتيب الصفوف الأمامية .. مو تشتي الحوثيين يرجعوا مرة ثانية ؟
- لا لا و الله ما يرجعوا قا دفعنا قلوبنا ... بس والله مشتاق لصبري .
- حتى هو مشتاق لك ، ومشتاق يشتي يعرف الحكاية.
- هو بس يجي و أنا قا وعدته شاخبره بكل شيء .. الله يحفظه ويحفظكم كلكم شكلي أنا شاروح لا عنده ، بالله يا أحمد تشوف يوم نروح نزوره بالجبهة أنا أشتي أزورهم في خطوط النار .. آه على خط النار مكان الرجولة منبع الكرامة .

الحلقة التاسعة

كان عمار شابا متوثبا ومتطلعا إلى الشهادة ، يتحدث عن الشهداء والشهادة بغبطة شديدة ، وكان أحد الشباب الذين يأنس بهم المقاومون ويرون فيه روحا متوهجة تمثل قاعدة النصر، كان يقدم الدعم اللوجستي والخدمات عند هدوء المعارك ويتقدم الصفوف عند اشتدادها، و يتميز بالثقة القصوى والبحث عن الشهادة كأمنية .

يقول فؤاد وهو أحد كوادر التوجيه المعنوي بالجبل : عندما قابلت عمارا كان يتحدث عن تأخر حصوله عن الشهادة في الوقت الذي يحصل عليها الآخرون بسهولة ! ، ويعدد زملاءه الذين سبقوه بغبطة عالية متسائلا: لماذا لم نحصل على الشهادة بينما البعض حصل عليها بسهولة ؟!

وعندما زار العم عبده سأله الأخير عن حاله؟ أجاب متحسرا: يا عم عبده لقد سبقني أصحابي وأنا متعثر .

قال له العم عبده: لا يا بني مش كلكم تذهبون (ويتخذ منكم شهداء) منكم مش كلكم الله يحفظكم .. يا عمار أين صاحبك صبري؟

عمار: صبري موجود أنا أعدك أننا أجي أنا وهو غدا بعد ما أنفذ المهمة هذا إذا تعثرت كالعادة ؛ وهو يعني إذا لم يفز بالشهادة .

في اليوم الثاني اخترق عمار وإخوانه خطوط العدو بسياراتهم ، كانت الخطوط خطرة والمغامرة غاية في الصعوبة .. اخترقوا خطوط النار لإنقاذ جثة أحد الشهداء ـ وهي حالة تتكرر بينما يحاول الأعداء أن يتخذوها طعما لاصطياد آخرين ـ استطاع الشباب أن يتجاوزوا كثيرا من العوائق وقبل الوصول إلى هدفهم ضربت السيارة بسلاح ثقيل سقط زملاؤه ورمت بهم السيارة إلى الخارج بينما وقع عمار تحت السيارة وضغطت على الجزء السفلي من جسمه .

الخطورة أن النار شبت في السيارة وهي تقترب من عمار العالق تحت السيارة بينما النار تزحف نحو جسده واقتربت منه وهو ينظر بهدوء تام .. أخذ التلفون

واتصل بأبيه ينقل إليه الخبر الأقرب إلى التبشير بالشهادة كمن يقول وأخيرا فزت ادع لي يا أبي .. انزعج والده وصاح به : اتصل بقادتك وأصحابك يا عمار لإنقاذك أعطني تلفوناتهم .. وبكل هدوء يطلب عمار من أبيه إعطاء التلفون لزوجته عندما سمعت زوجته صوته على الهاتف ومن الجملة الأولى صرخت لاااااا وأخذت تبكي.

أخذ الوالد التلفون ليترجاه مرة أخرى إعطاءه تلفون أصحابه لكنه بهدوء أخبره أن التلفون تفرمت وأنه اتصل به من الذاكرة .

- خلاص استودعك الله يا أبي المهم أنك راضٍ عني .

كادت النار تصل إليه ومازال هادئا .

ولزوجته حكاية غريبه معه ؛ فقد كان دائما يعطيها وصيته كشهيد لكنها في كل مرة تمزقها .. في المرة الأخيرة قال لها خلاص يا حبيبتي أنا سأبشرك بشهادتي ولن يطول الغياب سنلتقي في الفردوس أقرب ما تتصورين ، ولهذا صرخت رافضة البشرى التي أخبرها وكانت تعد هذا نوعا من الخيال .

النار تقترب وتصل إلى جسم عمار وزملاؤه يحاولون إنقاذه لكنهم يواجهون بقصف مركز كلما اقتربوا من السيارة المكشوفة.

كان العم هائل رجلا يقترب عمره من السبعين، وهو حكاية بحد ذاته قدم إلى الجبل في الأيام الأولى من صعود الجبل.. كان ميسور الحال ويعمل في التجارة ،عندما قدم إلى الجبل أحضر معه عسلا وأشياء أخرى ، وكان يتفقد المقاومين بين الحين والآخر ؛ لكن الملاحظ عدم مفارقته الجبل ؛ لقد كان هذا العجوز بروحه المتوثبة شابا مكتمل الصحة والطاقة.

يقول القائد منصور: كان العم هائل يرفض دوما إلا أن يكون في المقدمة وكان يحب شباب المقاومة ويرعاهم ، ولعمار مكانة خاصة في نفسه فقد كان عمار شابا متميزا .

أخبر العم هائل القائد وزملاء عمار بأنه سينقذ عمار بنفسه، لم يدع مجالا للنقاش قال لهم بحزم احموني ما استطعتم وانطلق العجوز الشاب كالصاروخ نحو عمار لتنهمر عليه الرصاص بالبنادق والرشاشات من كل مكان .. كانت

نجاته مستحيلة لكنه وصل إلى عمار ووجد النار قد سبقته إلى جسد عمار الذي كان حيا بعد ومحافظا على هدوئه.

- عم هائل مو جئت تعمل الله يسامحك .

لا وقت للحديث عند هائل أخذ يعالج السيارة بقوة حتى أبعدها عن جسد عمار.. كانت النار قد أكلت النصف الأسفل من جسد عمار أخذه على كتفه وعاد مسرعا كما بدأ تحت النار ونجا بأعجوبة وبصورة أقرب إلى المعجزة .

كان العم هائل يأمل أن ينقذ عمار الذي مازال حيا وبكامل وعيه ويحاول أن يتحدث مع عمه هائل بأريحيته المعهودة .

وصل عمار وهائل وزملاؤه إلى المستشفى وباشر المسعفون عملهم .. لم يطل الأمر حتى جاء الخبر : عمار شهيدا، لينزل الخبر كالصاعقة على زملائه والعم هائل ومن يعرفون هذا الشاب التواق إلى الشهادة .

قال الأستاذ عبد الله: لقد طار عمار إلى الشهادة ولم يمش إليها كغيره من الأبطال.

عندما وصل العم عبده الذي كان على وعد مع عمار صدم بخبر استشهاده ، وجلس على الأرض يحدث نفسه .. قال له الأستاذ عبد الله: عمار خسارة كبيرة مثله لا يعوض .

قال العم عبده : الله يرحمه أنا أحمد الله على أنني عشت لأرى هؤلاء الشباب ..لا تخف يا أستاذ عبد الله سترى أكثر من عمار، هؤلاء لا يموتون يستودعون أرواحهم حافظ الودائع فتتجدد لنرى الكثير من العظماء يتجددون أمامنا .

- صحيح يا عم عبده، الشهداء لا يموتون.. لقد كان عمار قدوة وتحول إلى نموذج باستشهاده.. لكن تخيل يا عم عبده هؤلاء الأبطال يعيشون في حالة صعبة حتى على مستوى العيش؛ بعضهم يمشي حافيا والآخر يمكث عاريا ليغسل بدلته الوحيدة.

العم عبده: كأنهم لا يبالون بكل هذا.. هل ترى في وجههم انكسارا أو حزنا.

- لا والله لا أرى فيهم إلا بسمة وأملا وإصرارا .

العم عبده: هؤلاء هم رجال الله الذين يعز بهم الحق ويركِّعُون الباطل.. لا ينكسرون ولا يمنون على أحد .

سعيد: أين صبري يا عم عبده ؟

سكت العم عبده .. ثم نهض عائدا إلى بيته يحمل حزنه على عمار والرجال الذي يغيبون مثل الكواكب وسط الغيوم والحجب الماطرة .

الحلقة العاشرة

عندما كسرت المقاومة في جبل جرة الخط الأمامي للحوثيين في بيت (عبدالصمد) انهار الحوثيون وفروا من المتارس في بيت أنس والمنازل الأخرى واستمر الشباب يطاردونهم أياما ليسيطروا على منطقة الزنوج كاملة حتى مدرسة عبد الله بن المبارك، وحتى جبل الوعش الذي بقى خاليا من الحوثة بعد أن فروا منه.

استشهد في معركة تطهير هذه المناطق العديد من الشهداء وجرح آخرون وبرز شباب وقادة قدموا أروع صور الإقدام والفداء لا تراها إلا في كتب التأريخ والأساطير؛ كان منهم القائد سليمان الغزالي الذي كان طودا شامخا وقائدا مؤثرا وله حضور طاغ وتجليات من نور .

كان سليمان شابا طموحا وناجحا ومناضلا من الطراز الأول ومن شباب ثورة ١١فبراير ساحة الحرية بتعز ، وقبلها ساحة التغير وشوارع صنعاء تعرفه جيدا جرح مرتين ، إحداهما في معركة كنتاكي ، كما كان مطاردا من سلطة عفاش .

انتقل إلى الجوف ومأرب ليساهم في المقاومة هناك مع شباب كثر من تعز .

يقول الأستاذ محمد لقد كان سليمان قدوة تحبه النفس وتشعر بالأمان تحت قيادته .

أما العم عبده فيذكر سليمان ويتبعها بنهدة عميقة .. كان يقول إن سليمان كتيبة متكاملة .

كثيرة هي المعارك التي خاضها في جبل جرة باقتدار .. آخر معركة خاضها في هجوم لاقتحام مواقع العدو ، وفي ظروف صعبة وخطرة لا يقدم عليها إلا من وضع روحه على فوهة سلاحه.

عند الهجوم تعرض وزملاؤه إلى كمين أصيب في جنبه وسقط متكئا على جدار.

فيما بقيت المنطقة تحت سيطرة محكمة للحوثيين وعجز الشباب عن سحب جثمانه.. حاولوا كثيرا وبسبب ذلك سقط جرحى ، استمر الجثمان ١٦ يوما دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب ؛ فهو وضع لاصطياد المقاومين وفي مكان يشبه فوهة الموت .

في الأخير أقسم مجموعة من الشباب بقيادة القائد (النقيب) الذي أعطى وعدا جازما لأسرته بإحضار الجثمان .. كان وعدا أشبه بالبيعة على الموت مع زملائه ؛ فؤاد العليمي وخالد العزعزي ، والقائد الشهيد عبدالله عباس ، والذين صمموا على الوصول إليه مهما كانت المخاطر.

كان العم عبده يرى غير هذا ، ويؤكد لو أن الشهيد كان حيا لرفض هذه العملية ؛ فالشهيد بروحه لا بجسده الذي لا يعدو ثوبا وقالبا من تراب وكان هذا رأي الكثيرين الذين لا يرغبون في أن تتحول جثامين الشهداء إلى كمائن يستدرج إليها إخوانهم .. ومع ذلك وصل الشباب بأعجوبة!

قال أحدهم : كنا نريد أن نجد منه رفاتا نلملمه ونذهب .. وكانت المفاجأة المذهلة ؛ لقد وجدوه متكئا على الجدار وكأنه سقط اللحظة ويده على رأسه واضعا رجله اليسرى على اليمنى .

ظهر كملك على عرشه ، وكقائد يلقي الدرس الأخير ، وبدا الجو مختلفا أمام مشهد القائد سيلمان وهو يلقي حكمته الأخيرة .

كأن لسان حاله : لقد انتظرت كثيرا لأودعكم وأهمس لكم بحديث الروح وقصة الحياة الكريمة التي نموت من أجلها.. . (نحن صناع حياة) كانت جملة يرددها حيا وها هو يعيدها على إخوانه شهيدا .

ومن أجل الحياة يندب البعض حياتهم للخلود وهؤلاء هم الشهداء ونجوم الطريق الممتدة من الحياة العابرة حتى مقر الخلود .. حيث الظل الساكن والنعيم المقيم الذي لا يشوبه زوال ولا يلفه غروب.

ألقى الشباب التحية ومعهم ظهرت التلال والجبال تغني للشهداء وتطرب للحياة التي يصنعها هؤلاء .. لقد كانت كرامة هي بالأساس دعم للمقاومين وهم يجدون زميلهم على هذه الصورة .. لقد كانت هدية لهم ليروه بعد أكثر

من أسبوعين ساخرا من القتلة ويلقي على إخوانه حكم الدهر ويبشرهم بطريق السماء وخط الكرامة .

قال الأستاذ عبد الله: لقد كانت كرامة خارج عالم الماديات سيصعب على البعض فهمها؛ لكنها وصلت إلى المقاومين وتصل كل يوم على هيئة روح تشع بالنور وتقف وراء هذا الصمود الأسطوري الشامخ الذي يعد كرامة كبرى ومعجزة محققة بالنظر إلى فارق القوة، وهو ما سيخلده تاريخ تعز وسينحني له جبل صبر ومعه جبال اليمن الشامخة في جبين الدهر حتى آخر سطر وآخر ورقة من التاريخ .

قال محمد: لقد تحول سيلمان إلى روح دافعة في مماته كما كان في حياته .

وعندما استلمت أسرته جثمانه تحدثت زوجته عن النصر والثبات وتحقيق أمنية الشهيد بالنصر والصمود وكأنها تقرأ وصيته .

يقول المقاوم محمد: من المفارقات الغريبة أن يستشهد أربعة شهداء كلهم باسم (سليمان) ومن قرية واحدة ؟!

(سليمان الغزالي) و(سليمان الصرمي) بنفس اليوم و(سليمان العصار) بعدهم بأيام ، بينما استشهد ابن عمه واسمه أيضا (سليمان الغزالي) في عام ٢٠١١م .

استشهدوا جميعا على نفس الدرب الذي لن تستطيع قوة في الدنيا أن تكسره أو توقفه حتى يصل إلى غايته ويأخذ مداه، من أجل الحق والحياة الكريمة للإنسان كما أرادها خالقها ، وليس كما يشتهيها الطغاة من بني الإنسان الذي كان ظلوما جهولا .

كان من الخطأ بعد أيام من السيطرة على الزنوج أن ترسل المقاومة أفرادا إلى جبل الوعش بعدد قليل لا يغطون جبل الوعش الواسع ، وبدون دعم ولا تغطية ؛ هذا أدى إلى هجوم مضاد بأكثر من مئتي مسلح وبتغطية كثيفة بالأسلحة الثقيلة والمتوسطة من الجهات المحيطة .. حينها انسحب الشباب من جبل الوعش وبدون خسائر.

وبدأت مرحلة من الإرباك بسبب نقص الذخيرة وانعدام المصاريف وقلة التغذية إضافة إلى وصول تعزيزات كبيرة من جماعة الحوثيين وصالح ، والذين

بدؤوا هجوما كل ليلة تقريبا مع قصف مكثف من الدفاع ، وتبة قاسم غربا ومن سوفتيل شرقا ، ومن الستين شمالا .

تحول الموقع إلى نار ، وتحت هذا القصف انسحبت المقاومة ماعدا مجموعة واحدة صمدت بشكل غريب .. كان الهجوم غير متكافئ والانسحابات يتبعها ضعف في المعنويات ، ومع هذا ارتفعت معنويات المجموعة إلى السماء .

قال محمد وهو واحد من أفراد المجموعة : لا تفكروا بالانسحاب ولا تفكروا بالخوف نحن سنرعبهم ونهزمهم.

في الجهة المقابلة قال أبو صالح لأصحابه - وهو حوثي لديه خبرة بالحرب: ألم أقلكم لا تفرحوا لم نواجه الموت الأحمر بعد ، لقد اصطدمنا بالصخور وهذا ما كنت أخافه.

قال أبو حمود يا أبو صالح لا تهزمنا وصلنا آخر الشوط.

أبو صالح: هو هذا آخر الشوط الذي سيكسرك.. شلها مني أنا اعرف هؤلاء وقتالهم.. مجربين كلما نواجههم يكون الخيار التوقف أو الموت.. أنت جديد على تعز وعلى هذا الجبل ولا تعرف صخور الجبل .

أبو حمود: سنحرق فوقهم الأرض.. سنتصل بأصحابنا يغطونا بالقصف من كل مكان .

- ما ينفعش يابو حمود .. الآن أنت ما تبسر ولا تفكر، بيننا وبينهم أمتار والقصف سيقع على راسك قبلهم.. اعذب الشيطان وتوقف ويكفينا الانتصارات التي حققناها.

قبل أن يكمل أبو صالح حديثه كانت رصاص المجموعة تردي مسلحا بجانبهم؛ فقد تسلل اثنان من المجموعة والتفا عليهم، وبدأ هجوم معاكس.

انسحب الحوثيون، وكانت بداية تقهقرهم، وبدأت مرحلة استعادة المواقع وقد كان صبري وعمار يمثلان رأس حربة في هذه المعارك على الدوام؛ فهما من الشباب المتوثب خبرة وإخلاصا وتفانياً ، وقد قررا مع زميل لهما أن ينفذوا هجوما لسحب جثة أحد المقاومين، وأثناء الهجوم تعرضوا إلى كمين تم فيه ضرب بازوكا لتصيب أحد الثلاثة المهاجمين مباشرة بينما يقع الآخران في الأسر.

عندما حضرت تعزيزات المقاومة استطاعت دحر الحوثيين وسحب جثمان الشهيد الأول والشهيد الذي سقط مؤخرا .. كانت الآر بي جي قد أصابته مباشرة بصورة يصعب التعرف عليه، ومع هذا فقد أكد قائد المجموعة بأن الشهيد هو صبري نفسه وأن حميد وسعيد وقعا في الأسر.

سقط خبر استشهاد صبري ثقيلا على المقاومين بينما العم عبده ينتظر صبري كل يوم على أحر من الجمر ليقص له حكايته كلها، ولأنه بمثابة ولده الوحيد أو كما قال له: أنت الطفل الذي في الصورة يا صبري فلا تتركني أنت أيضا فلم أعد أحتمل مثل هذه الأوجاع .

حضرت مجموعة من معارف العم عبده لزيارته إلى بيته ؛ فهم يعرفون مكانة صبري لديه .

قال عبد الرحيم: عظم الله أجرك يا عم عبده .

التفت عم عبده محدقا في وجه عبد الرحيم دون كلمة، وبعد صمت قال:

مالكم أيش في ؟

قال سعيد: صاحبك صبري.

- ماله صبري؟
- صبري استشهد.

كان جالسا فنهض: صبري شهيد.. ثم جلس وهو يتمتم.. صبري .. لا يمكن إلا أن يكون شهيدا .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

التفت إلى أحمد: بس صبري ما يخلفش وهو وعدني أنه سيعود.

مسح أحمد على كتف العم عبده وهو يقول : عظم الله أجرنا .. شد حيلك يا عم عبده.

سأل عن جثة صبري ليزوره لكنهم حاولوا ثنيه.. وعندما أصر قال له عبد الرحيم لقد تم تشييعه أمس.

ولماذا لا تخلوني أزوره؟! أنتم ما تعلمون أنه ابني.. كيف يا أحمد؟ الله المستعان .

- يا عم عبده صبري أصيب بـ آر بي جي مباشرة.. لا يمكنك احتمال رؤيتـه ولهذا لم أدعك لزيارته.. من الصعب التعرف عليه.

وعندما قصوا عليه قصة استشهاد صبري وأسر زميليه قال لهم مباشرة:

- ومن قال لكم إنه صبري؟

- كيف؟

- أنتم تقولون الجثة غير واضحة؛ ليش ما يكون صبري أحد الأسيرين وهذا واحد آخر.. أيش اللي خليكم تقولون إنه صبري؟

- التفت أحمد إلى الحاضرين دون إجابة، بينما حزم عبد الرحيم أنه صبري وأنه شهيد وهي المرتبة التي كان يبحث عنها.

الحلقة الأخيرة

بعد ثلاثة أيام من استشهاد صبري طلب عم عبده من أحمد أن ينظر من قبله شخصا يرعى الأغنام وينتبه للبيت فهو يرغب أن (يغير جو) ويزور بعض أصحابه القدماء .

اقترح له أحمد (الراعي الصغير) وأسرته كخير من يحافظ على البيت ويجمع الأغنام مع بعض .. استحسن العم عبده الفكرة .

عندما ذهب أحمد إلى بيت (فواز) الراعي الصغير وجد الفكرة ناجحة فبيتهم اقترب من المواجهات وقد قصفت أكثر من مرة وهم يبحثون عن بيت ينزحون إليه ولو مؤقتا ، ولم يبق سوى أن يعرض الفكرة على العم عبده لمعرفة كم سيغيب .

وافق العم عبده على الفكرة فورا قائلا: مش مشكلة حتى لو رجعت بكرة أو بعد شهر سيمكثون نازحين عندي حتى يستتب الأمر.

في الليلة التي سبقت يوم رحيل العم عبده بات بجانبه أحمد .. بقى الراعي العجوز يتحدث عن صبري ، وكان أحمد شخص غريب عن صبري .. يتحدث عن ذكائه ونشاطه وشجاعته ، وينقل مواقف وقصصا لصبري قائلا: ما كان أحد مثله سوى شداد وسليمان ، والقائد نبيل صاحب صبري مع أن كل من في الجبل أبطال ، ثم فتح (الشنطة) الحديد ليخرج بعض الفلوس التي كان يدخرها وكانت مبلغا لا بأس به ، وأعطى نصفه لأحمد الذي رفض بشدة أخذ أي مبلغ وعندما أصر قال العم عبده خلاص النصف أعطها للمقاومة والنصف الثاني يبقى عندك أمانة ، ولو احتاجت أسرة فواز أعطها ، والذي معي كثير يكفيني حتى أعود ، ثم أخرج الوصية التي كتبها لصبري والتي نقلها الأخير بدوره إلى أحمد في حالة استشهاده .

- خذ اقرأ يا أحمد هذه وصيتي إذا مت
- أحمد مقاطعا: عمرك مديد .
- أقلك أقلك إذا مت.

- أحمد: يعني أفتحها بحسب وصية صبري ؟
- العم عبده: لا.. أنا إذا مت أعطها لصبري عندما يعود!!

كان العم عبده بين الحين والآخر يبدو وكأنه يهذي مؤكدا أن صبري سيعود ..كان يعتقد أو يتمنى أنه أحد الأسرى أو ربما يكون الشهيد أحد زميليه كان يبحث عن أمل.. فهو لم يستوعب، ومع هذا ففرضيته لا تخلو من المنطق .

- لا يا عم عبده إذا مت أنت - لا سمح الله - شفتحها أنا لأن صبري الله يرحمه...

يصمت عم عبده ويتحرك لأخذ المصحف من الرف ليقرأ أو (يتحزب) كعادته قبل النوم .

صباحا ودع العم عبده (أحمد) بعد أن أعطاه المفتاح ليعطيه للراعي الصغير وأسرته ، وقرب البيت قابل الراعي الصغير .. كان حاملا حذاءه بيده مسرعا كعادة الأطفال المشاكسين .. كان مسرعا إلى أحمد والعم عبده ليتأكد من إمكانية نزوحهم .

قال له العم عبده : قل لأمك البيت بيتكم انتبه للغنم والفراخ والأرانب ولو احتجتم حاجة اصرفوا .. ثم حاول إعطاء الراعي الصغير مالاً لكنه رفض أن يأخذ.

قال له: خلاص أنت يا فواز الراعي الصغير بدل الراعي الكبير ، والجبل بحاجة إلى راعي يخدم أبطال المقاومة .. أنت ضروري تخدم المقاومة وتساعدهم.

قال الصغير: لا أنا أيش أساعدهم أنا مقاوم يا جد .

هههههه (يضحك العم عبده): أيوه أنت مقاوم.. المستقبل أقوى دائما.

في الطريق قابله الأستاذ عبد الله الذي أحب أن يرافقه إلى منتصف الجبل رحب العم بالأستاذ عبدالله لكنه مشى صامتا وكأنه ينصت إلى الجبل.. اتجه إلى المكان الذي كان يجلس فيه قبل الغروب مع همومه ومهاجل الصيف وحيث الصورة الشهيرة التي يرسمها)المرأة والطفل(.. وصل إلى الصورة وكأنه يودع إنسانا أو يزور قبر حبيب.. نظر إلى الصورة ثم أخذ ينقرها بالعصى بلطف وهو يقول: آه

يا (سلمى) ما زلت مشرقة كما أنت يا بنت، وأنا في الغروب الأخير، لكن تعلمين أن الغروب مقدمة الشروق .. أعدك سأغرب قريبا لنشرق معا .

كان الأستاذ عبد الله ينصت باهتمام وتأثر.. كان لأول مرة ينطق باسم سلمى.

قال له الأستاذ عبد الله: من هي سلمى يا عم عبده؟ وما حكايتها؟

التفت إليه العم عبده بثقة: الحكاية كلها سأحكيها لصبري.. أنا وعدته عندما يعود سأخبره بكل الحكايات.

هز الأستاذ عبد الله رأسه وهو يتمتم: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يسأل عم عبده: أنت عند من شتروح ؟

- عند أصحابي .

- من متى عندك أصحاب وأنا أعرف أنك بالجبل منذ عشرين سنة لا تخرج.

- أصحابي من زمان عشنا عمر قبل أربعين سنة وأكثر .

- وأيش عرفك أين هم؟

- أعرف بعضهم وبيوتهم وهم أعز أصحابي.. تصور تلاقينا في ساحة الحرية في2011م، هذه الثورة السلمية أقامت الرقود وأحيت من في القبور.. أنت لا تعرف أن الساحة كانت تعني قتل اليأس الذي خيم، وعودة الأمل الذي مات.

الأستاذ: والآن مات مرة ثانية ..

العم عبده: لا لا.. لا تقل كذه.. الآن الأمل يكبر وهذه المقاومة حقكم هي بنت ساحة الحرية.. أنا عندي أمل كبير.

- كيف؟

- يا ابني عندي أمل، بل ثقة كاملة بأن الشعب سينتصر؛ لأن السيل ما يرجعش مطلع ، والنهر المتدفق لا توقفه سدود ولا حواجز .

- الأستاذ عبد الله: الله الله يادكتور عبده فعلا أنت حكاية لا بد من معرفتها..

منتظرين عودتك يا عم عبده.

جبل ضحيح

باعد بجيدك واضحيح

شنظر بروج الأماني

خلف الربى وسط كحلان

ليا بها قلب ثـاني

مطلع قصيدة قيلت في ثمانينات القرن الماضي، كان الأستاذ أحمد محمد صالح مدرسا في معهد رأس النقيل بعيدا عن قريته (كحلان) في مديرية صَبر المسراخ ،وعندما يطول به المقام ويتحرك الشوق يرى جبل (ضحيح) منتصبا بعنقه يمنعه من رؤية مشارف قريته، فيطالبه بالابتعاد أو الانحناء بعنقه قليلا ليرى دياره ومن سكن الديار حيث يسكن هناك قلبه الثاني ! حينها كان يتلبسه الضيق؛ فالبعد والجبل والغروب ورابعهم (الطفر) يجتمعون عليه ليتبع قصيدته بنهدة المفارق وبموال حزين يردده المزارعون في مثل حالته المخلوطة بوحشة متداخلة المشاعر:

مع العشي مع المغارب ★★★ واالقلُيب لا تكترب

ليعود مخاطبا الجبل بقوة

باعد بجيدك وواضحيح ، وكأنه خصم أو قاطع طريق

أما اليوم فالجبل يمثل حارسا أمينا وسدا منيعا وسيفا ضاربا يتساقط الأعداء متناثرين أمام كبرياء هذا الجبل الأشم والقرى المحيطة به حماه وكحلان والشقب والتي تحولت إلى محرقة مميتة؛ فالكل فيها يقاوم...الحجر والشجر والرجل والمرأة والطفل والشيخ، و لا مكان للغزاة في قرى قررت أن تسجل نفسها في دائرة النور والكرامة .

نظم الغزاة عدة اقتحامات للسيطرة على جبل (ضحيح) لكنه كان يتعامل معهم كحشرات صغيرة يدوسهم أو يبعدهم عن قدميه؛ ففي قمته شباب لا يقلون عنه صلابة، يستمد منهم الجبل العظمة والشموخ.

استقدم الغزاة في اقتحاماتهم ما تبقى من كتائبهم الهالكة كتائب (الحسين ـ المكبرين ـ الصبارين) وغيرها من الأسماء التي كان مجرد العلم بقدومها تسقط أمامهم القرى وتفتح المدن .

كان هذا قبل قدومهم تعز؛ حيث تلاشت هيبتهم وتبخر مشروعهم مع الريح .

في المحاولة الأخيرة كان الهجوم من أكثر من جهة وفيه حشد والتفاف محكم ،ونجحوا في التوغل مسافات طويلة دون رادع أو عائق فلا صوت سوى أصوات صواريخهم ونيرانهم الكثيفة، حتى توهموا أن)ضحيح(انحنى أخيرا والقرى انكسرت من رعبهم.

وعندما أمعنوا في التوغل الذي بدا سهلا ووصلوا إلى العمق، ارتفعت أصوات مدافعهم وصواريخهم أكثر، ومعها ارتفعت أصواتهم (بالشعار) إياه ، إعلانا بانتصارهم و بهزيمة جبل (ضحيح) والقرى المقاومة .

لم يمهلهم (ضحيح) الذي أخذ يتثاءب ويفرك عينيه ليبدأ المعركة كما أرادها الشباب وخططوا .

وفجأة ينتفض الشجر والحجر والإنسان نارا محرقة وبركانا من لهب وغضب ليقع الغزاة في الفخ.

كان كمينا محكما أسقط العشرات قتلى وجرحى اشترك فيه الرجال والنساء؛ فالقرية تتنفس مقاومة وتنشد أغنيتها المفضلة (كلنا مقاومة) ، حتى صار لكل مواطن رجل وامرأة قصة بطولة وأسطورة فداء.

زوجة الشهيد عبدالرحمن الذي لم يمض على استشهاده سوى ثلاثة أيام لم يهدها الحزن ، ولم يرعبها فراق شريك حياتها الذي ترك لها كرامة وإرادة لا تعرف الانكسار، وبندق (جرمل) وبعض الذخيرة وهي كل ما يملك.

بكل شموخ أخذت البندق (الجرمل) واتخذت (مترسا) كما يفعل الأبطال تنتظر الجبناء القادمين لتحارب ككتيبة بثبات وبسالة، وكانت حديث القرية وبطلة المعركة.

يقول أحد أبناء القرية: في المعركة رأيناها كقائد عسكري محنك ساعدت في شحذ الروح وتماسك المقاتلين، كانت تردد كلمة واحدة لا تخافوا.. لا

تخافوا ،تذكرهم بحقيقة مغادرة الخوف قلوب الناس كعامل قوة لا تهزم وكأنها توكد أن الهزيمة والنصر يبدآن من النفس .

ويضيف: وأمامي قتلتُ اثنين وجرحت آخرين دون تردد أو خوف، وهي المعروفة برقة القلب إذ تبكي لمجرد شجار مع الجيران أو شوكة تصيب طفلا ؟

لقد تساقط الغزاة مثل الفراشات على جدار المقاومة التي تحركت كجسم واحد بديع التناسق عظيم الجسارة .

لم تترك المرأة مكانها حتى تأكدت من الانتصار، وعندما نهضت القرية للاحتفال بالنصر نهضت هي لتحتفل وأهدت النصر إلى روح زوجها الشهيد وزملائه .

علقت (الجرمل) في مكانه المحدد في الديوان وخرجت تزغرد مع نساء القرية ،ولم تتوقف إلا لكي تدخل المطبخ تعد القهوة والطعام للمقاومين، شأنها شأن كل النساء.

كان واضحا أن روح المقاومة عندما تسري في قرية تحيل مآتمهم إلى كبرياء ،وأحزانهم إلى روافع للتحدي والإصرار، وتحولهم إلى قوة عميقة الروح تصبح معها أعناق الناس عصية على الكسر أو الانحناء، مثلها مثل الجبال الراسيات.

في هذا الجو لا أعلم ماذا يقول الأستاذ أحمد محمد صالح وماذا يسطر قلمه الجميل؛ لكنني متأكد أنه قد نقل خصومته مع جبل (ضحيح) إلى الصداقة والفخر ولسان حاله يقول:

(اشمخ بجيدك وضحيح)

ومنتظرين أن نسمع جديد شعره عن هذه الملاحم التي يعيشها قريبا.

ضاحة الرباح

دخلت جماعة الحوثي وصالح إحدى قرى القبيطة دون مقاومة ، واتجهت مباشرة إلى الجبل .. كان الوقت ليلا والجو ملبدا بالغيوم ، والقرية يلفها الحزن والقهر ، وعيون النساء والأطفال ترقب بهلع الكائنات الغريبة والتي يبدو عليها الجلافة والغطرسة والوحشية .

الحجة (زينب) كان صوتها يسمع إلى خارج المنزل (الله يسلط عليكم الهوام ويقهركم.. يا قادر يا كريم.. ذلحين مو جاؤوا يدوروا مننا) ؟

صعدت المجموعة المسلحة إلى منتصف الجبل حيث الموقع الهام ، ليبدؤوا بحفر الخنادق ، وترتيب الموقع ووضع الأسلحة الرشاشة في أماكنها ، بدأوا فورا بإطلاق النار لإرعاب الناس ، كانوا منتشين ؛ فلا وجود للمقاومة هنا ؛ فقد نجح العملاء بإقناع القرية (بالحياد) ومنع تواجد المقاومة، وبعد يومين أحضروا الحوثة إلى القرية تحت عنوان (الحياد) .

بالمناسبة.. (الحياد) أصبح عنوانا للخيانة والغدر منذ إعلان (حياد) الجيش وفتح العاصمة للمليشيا وتمريغ الشرف العسكري في وحل هذا (الحياد) السافل؟

كانت قمة الجبل منطقة (عسرة) لا يسكنها سوى الرُباح (القُرود) ، وقد أتتهم المعلومات من (المتحوثين) بأن الجبل خالٍ .. ليبدؤوا ليلتهم بالزوامل و(الصرخة) الموت لأمريكا ... الموت لإسرائيل .

كان الجبل يكاد ينفجر من الغيظ تماشياً مع حالة معظم سكان القرية المغلوبين والذين هرعوا إلى الدعاء ، وبدأت الحجة (زينب) ترفع صوتها الله يكسركم مثلما كسر حمار أحمد غالب من رأس الضاحة. .. وما يلقطوكن إلا بالجواني .. ذلحين اليهود عندنا ؟!!

قبل منتصف الليل هدأت حركة المسلحين وضجيجهم وبدؤوا يستعدون للنوم والراحة والحراسة .. اشتد ظلام الليل وبدأ الغيم يتكثف أكثر، ومعه أقبلت الوحشة التي يتنفسها الجبل، والغيظ الذي يفيض من القرية يتسلل بشكل غريب

ونادر إلى نفوس المسلحين .. غاب النوم عن عيونهم وأخذوا يتحسسون أسلحتهم مستشعرين خطرا ما، يسأل بعضهم بعضا عن شعور الخوف الذي داهمهم ليجزموا أن هجوما قادما على وشك الوقوع، واعتبروه حدسا مرسلا من (السيد) ككرامة !!

كان موقعهم مخيفا ومحصنا، الجهة الوحيدة المفتوحة هي أعلى الجبل، لكن (المتحوث مهيوب العسيق) الذي أدخلهم - وهو أحد أعيان القرية المجاورة - كان قد أكد لهم استحالة الهجوم من أعلى الجبل، فهو صعب و عسر، والمدخل الممكن لصعوده هو مكان الموقع نفسه.

ومع زيادة القلق رفع قائد الموقع التلفون ليجري المحادثة التالية مع المتحوث العسيق:

- كيف حالك؟ أيش الأخبار؟ ما فيش هجوم ولا أخبار من هانا وإلا من هانا؟
- لا .. اطمئن يا بو صالح.
- وقمة الجبل يا عسيق ؟
- عليّا قمة الجبل عليا.
- قسما لو جاء شيء وإلا شيء منها لا يكون الثمن إلا رأسك يا ثعل؟
- أنا فدا يا بو (صالح) إحنا خدامينكم هنا.. الله المستعان مو جاء مننا؟ أنا يهمنا رضاكم.. أنا (حميس) أنا (فدا) يا شيخ يا فندم يا سيدي ياااا..
- بس بس ارقد ارقد يا خضعي ، يغلق التلفون ؟

الوقت تجاوز منتصف الليل، والجماعة تتأقلم مع الظلام ووحشة المكان وبدأ بعضهم يأخذ مكانه للنوم والآخر للحراسة.. لم يمر سوى وقت قصير ليستيقظوا على صراخ أحد الحراس (هجووووم) .. استعدوا هجوم من طالع الجبل.. لينهضوا مذعورين على أصوات الجبل وهو ينحدر بسيل من الصخور والأحجار القاتلة وبكميات كبيرة، ويلحق الصخور أصوات انحدار أقدام مقاتلين وهمهماتهم بصورة تبدو النجاة منها صعبة.

قال أبو(صالح) : خانونا أولاد الكلب، وهو يهرول نحو أسفل الجبل فارا بجلده ،سبقه ولحقه أفراد المجموعة تاركين معظم السلاح والذخيرة؛ فالهجوم النازل من قمة الجبل مرعب وواضح أنه كمين محكم.. هكذا فهمت الجماعة المرعوبة ،فأعطت لأقدامها العنان ليمروا فارين مذعورين متحاشين الدخول وسط القرية؛ فكل حركة يعتبرونها كمينا موجها إليهم.

أبو (صالح) أفرغ عشرين رصاصة وأكثر ليقتل حمار (محمد سعد) التي كانت مربوطة في (حوية) جانب المنزل ، بمجرد أنها عطست عطسة (تش).. يقفز بعضهم فوق بعض يصرخون .. يسقط أحدهم من جدار ويكسر رجله مستغيثا فلم يلتفت إليه أحد ؛ فالفرار كان سيد الموقف ليبقى الرجل يتوجع ويصرخ (قلي يا أبو صالح ما جاء بنا إلى هانا؟ وين اليهود الآن با تهرب وتسيبني.. الله المستعان.. آه ما هذي المصيبة التي أصابتنا) ؟

الحجة زينب مازالت مستيقظة وصعدت إلى سطح المنزل وهي تسمع وترى فرارهم بغير الصورة المتعجرفة التي صعدوا بها .. هم الآن أقرب إلى الفئران الشاردة خوفا من القطط الجائعة !

قالت وهى تتابع صراخهم (خذلكم الله ! الله قدير.. شخزيكم ربي .. أنتم واللّي جابكم القرية.. الله يكسركم ويذرذر دمكم بالمخالف والشعاب.) .

الموقع مع الفجر خالٍ من المسلحين الذين نجوا بأعجوبة؛ لكنه كان ممتلئا بالسلاح والعصائر والأكل والقات، ومؤونة تكفي لإدارة معركة أياماً طويلة، لقد تركوا كل شيء وفروا من أمام الهجوم المنحدر من الجبل .

أما المهاجمون من أعلى الجبل فلم يكونوا سوى الرُباح (قرود) الجبل !! ومن يعرف قرود الجبال التي تسكن الأماكن العسرة لا يستغرب ما حدث؛ فهي تفر من الوادي أمام النساء والأطفال؛ لكنها تدافع عن أماكنها الشاهقة (ضاحة الرباح) بشراسة ، وكلما كان المكان صعبا ازدادت ضراوة القرود ضد أي قادم وعندما يحسون بمن يقترب من (ضاحة الرباح) خاصة في الليل يقومون بإلقاء ودحرجة الصخور ـ وهي هنا خطرة وقاتلة ـ كما تقوم هذه القرود بحركة جماعية كر وفر وصعود ونزول !! وهذا معروف ؟

وهي الحركة التي أرعبت الغزاة واعتقدوها هجوما كثيفا وجيشا نازلا من قمة الجبل ، وفي بلاد لا يعرفون تضاريسها ؛ ليفروا من هلاك محقق ومفاجئ تاركين خلفهم كل شيء .

وهنا تسجل (قرود) تعز أغرب معركة، وتثبت بأنها شاركت في المقاومة وطرد جيش العنصرية الغازي، وبدا الجبل والقرية والحجر والشجر والقرود والحيوان والإنسان وكأنهم جسم واحد ينبض بالحرية وينشد نشيد المقاومة ليصعد خمسة من الشباب إلى الموقع ويستولون على السلاح ويكونون أول نواة للمقاومة في القرية التي خدعت بأكذوبة (الحياد) الغادر، وافتتحوا مقاومتهم بروح معنوية عالية، بينما بدت الحجة زينب أشبه بقائد توجيه معنوي تحرض النساء والرجال على المقاومة: (دافعوا على شرفكم مثل خلق الله يا عيالي مشجيوش الرباح أحسن مننا) .

لقد كان نصرا بلا مقاتلين وغنيمة في معركة غريبة سموها معركة)الرباح(، وبدأت شعارات (كلنا مقاومة) وكأنها قوة سحرية تنطلق من النساء والرجال والأطفال ،وتكتب بكثافة على الصخور والبيوت، و)ضاحة الرباح(التي أصبحت مفخرة لأبناء القرية ومحل إعجاب وتعجب ؟

سلمية التعزية

حضرت جماعة الحوثي وصالح إلى مديرية (مشرعة وحدنان) بصَبر بأنواع الأسلحة ، ومعهم دبابة تمركزت أسفل القرية، لتبدأ بالضرب على المدينة وكانت الدبابة مصدر رعب حقيقي على سكان المدينة ، فموقع المديرية في غاية الأهمية ، فالسيطرة عليها تعني السيطرة على المدينة عملياً .

- الفضيحة أنها تقصف المدينة ، وتقتل أهلنا من بيوتنا ، قالها أحد المواطنين بحرقة .. بينما يتمتم (الفقي) عبده بما يحفظ من الحكم والأشعار التي تعبر عن الذهول والمرارة ! وغالباً ما تسمعه يردد متحسراً شطرا من بيت شعر شهير:

ما كنت أعلم أن يمتد بي زمني *** حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسَفَلِ

استمر الحوثيون بالقصف على أحياء المدينة ، وتهديد سكان القرية بالقتل وتفجير البيوت ، بينما أخذ المتحوثون يقنعون سكان القرية بالانضمام إلى الجماعة الغازية ، لكنهم كانوا يصدمون برفض كاسح .

أخذت (سلمى) قريبة أحد المتحوثين توجه اللوم إلى قريبها: (ما فيش رجال يجلبوا النار إلى عقرهم والعار إلى بيوتهم غير أنتم؛ يا غبني عليكم.. كشفتونا بين خلق الله.. ربي يكشفكم دنيا وآخره).

منذ دخول الحوثيين القرية وهي مستيقظة لا تعرف النوم، وكأنها واقفة على رجل واحدة.. هناك قهر وجرح عميق وشعور بالعار طالما الجماعة تقصف وتقتل المدينة من القرية التي تفتخر بأنها من مفجري ثورة فبراير.

- نحن لا نعرف كيف نتصرف بدون سلاح؟ قال أحد قادة القرية الشباب ..مضيفاً: لكن لابد أن نفعل شيئاً، حتى يأتي السلاح والذخيرة.. لا يمكن أن نبقى متفرجين!

- قال الأستاذ أحمد ساخراً: (ثورة سلمية).. نواجههم بثورة سلمية! لكن السخرية تحولت إلى فكرة قابلة للتطبيق، فالقرية تكاد تنفجر من القهر!

وصل أحد المتحوثين سريعا إلى قائد الحوثيين في الموقع المدعو (أبو أحمد) يخبره أن القرية ستنظم مظاهرَة تطالب برحيل الدبابة والموقع.

- هههههههه ضحك (أبو أحمد) حتى كاد يسقط على قفاه.. ضحكتني يا ذاك، قلهم يأتوا يفجروا الدبابة ويحرقوها بحقهم السلمية أحسن.. اسمع اسمع: (سلمية تعزية) هذه كيف هي طويلة، نحيفة، حالية وإلا شوعه.. حالية مه؟

في اليوم التالي قرر (أبو احمد) نقل الدبابة التي تضرب المدينة من موقعها أسفل القرية إلى تبة أعلى القرية.

تحركت الدبابة صعوداً ومع حركتها تحركت الثورة في النفوس، ولأن القرية مستفزة فقد خرجت كلها تتفرج للدبابة وهي صاعدة غصبا عنهم وكأنها تسير على رؤوسهم.

وفي لحظة انفجار شعبي صرخ أحدهم: ارحل.. ارحل.. ليرتد الصدى بحجم القرية، بحجم تعز.. بحجم اليمن، وبحجم الكرامة، والقهر المجروح .

وكأن (ارحل) فتحت نافورة البركان وبوابة الطوفان ، و(ارحل) هذه ليست غريبة عنهم فهم كمديرية من رواد ثورة فبراير، وبينهم وبين (ارحل) علاقة دم وحلم ما زال يتشكل .

أصيب (أبو أحمد) قائد الموقع بالذهول، فقد تحولت السلمية أو (السلمية التعزية) كما سماها (أبو أحمد) ساخراً ، إلى رعب حقيقي ، وقد حاول أن يحافظ على ثباته، ورباطة جأشه وهو يقول: نحن نحترمكم خلاص خلوهم (ينفهوا) ..

عبّروا .. نعطيكم ساعة لكي تعبروا سلميا ؟ً

صاح الشباب: نحن الذين نعطيك ساعة للرحيل.. (ارحل).

ابتسم (أبو أحمد) : ارحل يرحل من؟ وكيف أرحل؟ قالها ساخرا، وهو يلتفت إلى موقعه المتروس بالمسلحين والسلاح الموجه تجاه الجمهور العزلً (ارحل.. مَنْ يرحل)؟!

- ما فيش ؛ ارحل الآن ورجلك برقبتك.. قالها أحد الشباب وبحركة سريعة يتجه

(جمال سلطان) نحو (دبة) بترول يأخذها وهو يقول لمن حوله: (سأصل إلى الدبابة لو استشهدت كملوا أنتم المشوار.. أشعلوا الدبابة وستنفجر وبانفجارها سيندحرون ويبدأ العد التنازلي لغطرستهم) .. اتجه (جمال) مسرعاً نحو الدبابة

،لكن رصاصة القتلة كانت أسرع فيسقط شهيداً، كما توقع وأراد!!.. لم يفر الناس ولم يتوقفوا، بل اشتعلوا ثورة تنفذ وصية الشهيد.. وصلوا إلى الدبابة.. صبوا البترول وسط رصاص مرتعش ومرعوب.

وتحت تصفيق وهتافات القرية وغضبها وذهول (أبو أحمد) وجماعته تحترق الدبابة وتشتعل لتراها المدينة دخانا يتصاعد ، حينها خرجت المدينة تضرب (تعظيم سلام) للمقاومة ومديرية مشرعة وحدنان .

- ما هذا يا جن ؟ قالها (أبو أحمد) وهو يرى (السلمية التعزية) تفجر دبابة بواسطة دبة بترول وقطرة دم من شهيد قرر أن يكون فدائياً يقص شريط المجد والحرية بدمه .

تبخرت غطرستهم وفروا من الموقع تاركين وراءهم السلاح وطقم فورد ورشاش وغطرسة معفرة بالتراب.. ومعنويات لأبناء القرية تعانق النجوم!

أثناء الفرار قال أحد مرافقي (أبو أحمد) وهو يلهث : مش قلتم يا أبو أحمد إن هذه القرية مغلق لـ«أنصار الله»؟!

- (مغلقه لأمك اسكه .. قاهي بالنخر.. لكن سهل با نعود نحرق هذولا الدواعش وقريتهم حريق).

كانت الصفعة كبيرة ومفاجئة للغزاة.. أما أصحاب القرية فاعتبروها إعلاناً لبدء المعركة وهم يعرفون أنهم سيعودون بحملة أكثر حقداً.

عاد كل واحد يتحسس سلاحه، وما تيسر من الرصاص، يحفرون خنادق ويضعون المتارس ويشد بعضهم بعضا، والمهم أن المقاومة كانت قد تمكنت من التواصل وترتيب جبهة مقاومة وطريقً للإمداد بما أمكن من ذخيرة وسلاح، لتضع السلمية حجر الأساس للمقاومة المسلحة وكسر الغزاة في المنطقة الأهم في تعز.

قنبلة فاطمة

لم تمض سوى أيام على حادثة إحراق الدبابة في (مشرعة وحدنان) ليعود الغزاة هذه المرة بحملة متكاملة بأكثر من ثلاثين طقما وأسلحة ورشاشات ومدافع، وكل أنواع الأسلحة؛ فقد صدر قرار من سيدهم بضرورة احتياح القرية مهما كان الثمن .

وبدأت المعركة بالقصف المكثف على القرية والزحف من كل جانب.. انهزم الغزاة فيها لتعزز الجماعة بالمزيد من الأطقم والسلاح .. استطاعوا أن يسيطروا على بعض المواقع المتقدمة .. سقط من أبناء المنطقة شهداء كثر وزادت وتيرة المقاومة .. استعادوا مواقع ؛ فالمعركة كر وفر ، والنتيجة العامة المقاومة في طريقها إلى الانتصار ، لكن يبدو أن الجماعة تدير المعركة مركزيا ومصممة على احتياح القرية لترسل مزيدا من التعزيزات المهولة ، زاد الضغط والمعركة غير متكافئة ، وظهر أن سقوط المديرية مسألة وقت، ومع اشتداد الهجوم وسقوط بعض المواقع بدأ بعض أبناء القرية ينسحبون إلى خارج المديرية، وبقيت مجموعة لا تزيد عن العشرين في الموقع الأهم .. قرروا الصمود وأحرقوا كلمة (انسحاب) .

زارتهم (فاطمة) مع عدد من النسوة كانت بعضهن زوجات شهداء ليعرضن المساعدة والتشجيع على الصمود.

قالت فاطمة: ما أحد يرجع بطن أمه ثاني يا أولادي أنتم الآن أملنا.. لأنهم مهما كانوا سيعجزون عن دخول القرية طالما أنتم هنا.. فقط صمود يوم آخر يكسرهم .

كانت زيارة غريبة شعروا خلالها بالمسؤولية أكثر، وزاد تصميمهم وهم يرون نساء القرية وزوجات الشهداء بهذه الروح.

- اطمئني لن تريْ إلا ما يسرك.. ننتصر أو نموت.. . أنتن الآن ارجعن بيوتكن.

- (لم يبق سوى هذا الموقع لتحقيق النصر) يقول قائد في الحرس الجمهوري

(الصالحي الحوثي) ويؤكد : لقد قدمنا عشرات الشهداء في هذا اليوم فقط ، ولا بد من إسقاط هذا الموقع اللعين بأي ثمن .

وبدأت ليلة هجوم رهيبة لم تشهد القرية مثلها .. حيث خيم الخوف على كل شيء ؛ حتى النجوم كانت ترتجف خوفا مع القرية أو هكذا يتراءى للناظر ليلتها ..حتى نباح الكلاب له وقع مختلف ومخيف .. قاموا بتفجير منزلين كبيرين في القرية زيادة في الإرهاب .. وجهوا المدافع والصواريخ والرشاشات أحرقوا الموقع ، ومعه تحترق قلوب أهل القرية خوفا على سقوط الموقع الأخير، وبدأ البعض يتسرب إلى خارج القرية ؛ فالقوة غير متكافئة ، ولا داعي للانتحار والإهانات ؟؟

أشرقت الشمس وبأذن وعين واحدة ، قالت القرية: مو الخبر يا جماعة (ليأتي الخبر: الشباب حققوا معجزة .. صدوا الهجوم وجثث الحوثيين متناثرة .
تنفس أهل القرية الصعداء.. واعتبروها كرامة إلهية.. .قالت الحجة) سعود: (احمدوا ربكم الله معنا و لا نخاف.. يا رب تحفظ الرجال احفظهم اسألك باسمك الأكبر.. . تراجعها ابنتها) الأعظم (يامه) الأعظم .. ؟
الأعظم أيوه الأعظم الأكبر هو وحده يعلم حالنا ووحده شحرق قلب علي صالح والحوتي مثل ما أحرقوا قلوبنا بعيالنا وبيوتنا .

المعركة لم تنته فالجماعة بعد تقديم كل هذه الخسائر، وأهمية القرية الاستراتيجية مصممون على اجتياح القرية؛ فهي الآن معركة وجود في تعز بالنسبة إليهم .

لم يستمر الهدوء طويلا فقد عاودوا الهجوم نهارا، ومازال الشباب كما هم صامدين يساعدهم الموقع الحصين على الصمود ، لكن كانت هناك مشكلة تحولت إلى كارثة.. إنها (الذخيرة) التي بدأت بالنفاد .. و لا مدد.

- (اقتصدوا بالذخيرة) يوجه قائد الموقع ، و لا بد من فرج .. كانوا يأملون أن يتوقف الهجوم خاصة و هم يرون الخسائر الكبيرة في صفوف المهاجمين، لكن هذه الأمنية تلاشت ؛ فالهجوم يزداد والذخيرة نفدت تماما .. حتى المدد البسيط الذي قدمته نساء ورجال القرية من الذخيرة التي جُمعت من البيوت انتهى .

انتهت الذخيرة تماما والقرار الصائب هو الانسحاب .

- (كيف ننسحب؟ لا يمكن) يقول أحدهم.. فيرد آخر: يعني أيش نسلم أنفسنا أسرى ؟ هذه ليست شجاعة .

قال محمود: انتظروا .. النصر صبر ساعة ربما يتوقفون .

لكنهم يقتربون يا أستاذ وبدلا من الانسحاب المشروع أخذ البعض وبدون تفكير يقذفون المهاجمين بالحجارة .

عندما بدأ الشباب يرمون بالحجارة حصل شيء غريب .. لقد أوقف الغزاة الزحف وبدأوا يهتفون بالشعار (الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل) .. .لقد فهموا أن الذخيرة نفدت تماما .

اتصل أحدهم بجانب الموقع (انتصرنا يا فندم) ، وخرج بعضهم من المخابئ وبدأوا يتجمعون للصعود الآمن .

وهنا حضرت (فاطمة) التي زارتهم بداية المعركة .. كانت تحمل معها قنبلتين أعطتهم القنبلتين وهي تقول: (هذا ما تركه المرحوم) قلتو على الله تنفعكم.

التقطها قائد الموقع : تنفعنا أيوه .. فتح الله عليك .. خلاص الآن أمشي أنتِ .

وبسرعة اتجه ليرمي بالقنبلتين في اتجاهين مختلفين ، ولأن الجماعة كانت مطمئنة إلى النصر ومقتنعة بنفاد الذخيرة ؛ فقد تجمعوا ؛ ولهذا سقط العشرات بين قتيل وجريح بقنبلتي فاطمة.

ليس هذا المهم .. المهم الأثر المعنوي حيث فهم المهاجمون بأن قضية الحجارة ما هي إلا طعم وخديعة لكمين أكبر بدأ بإلقاء القنبلتين ، وهو ما أصابهم بالذعر والانسحاب غير المنظم .. لقد فروا وانسحبوا مذعورين ، ولم يصدق الشباب و أهل القرية هذه الهدية ، فكانت فرحة لا توصف .

وخرجت الحجة (سعود) تصيح وتبكي من الفرح ومعها بكت فاطمة وسلمى ورجال ونساء القرية فرحا ، واعتبروها رعاية من الله ونصرا .

بعد هذه الحادثة وبنفس اليوم استعادت القرية و مقاوموها تماسكهم وعاد المنسحبون سريعا ، منظمين أنفسهم من جديد لتطهير المواقع التي سيطر عليها الغزاة ، و لطردهم من المديرية بالكامل و من صبر عموما .

لقد كانت (قنبلتا فاطمة) سببا في النصر وتجنب هزيمة كبيرة ودخول مرحلة جديدة ، مثلما كانت (السلمية) ودبة بترول الشهيد (جمال) سببا في تفجير الدبابة ودخول مرحلة المقاومة !!

احتمع أهل القرية أمام المسجد محتفلين ، ووقف (الفقي عبده) وهو ممسك بباب المسجد ليقول : اطمئنوا لن يغزونا بعد اليوم .. أنتم الآن احمدوا الله ولا تغتروا ، النصر من الله .. اذهبوا منصورين ليتصرف كل فرد على أنه القرية.. على أنه تعز.. على أنه اليمن ..حافظوا على بعضكم .. حافظوا على الرحمة بينكم .

حافظوا على وحدتكم .. حافظوا على وحدتكم .. ولا تنازعوا .

(بُقُشْ) [1] تقاوم أيضاً

عندما وصلت جماعة الحوثي وصالح إلى (مشرعة وحدنان) لم ينسوا تفجير البيوت؛ فالتفجير أشبه بالإدمان القذر؛ دمروا ثلاثة منازل، منزلين في قرية (الميهال) لصادق عبد الرقيب ومحمد عبد الرقيب، ومنزل في (المجيرين) لمحمد علي أحمد .

وعندما علم (محمد علي) بتفجير منزله أطلق نيران بندقه للتحدي والإصرار ،هذا تصرف ونفسيات جديدة لم تكن حاضرة قبل المقاومة !

لم تمضِ سوى أيام لتسجل المقاومة انتصارها الكبير؛ قتل العشرات وأسر العشرات، وفر الآخرون، كان من بين الأسرى المجموعة التي فجرت منزل محمد علي ، لقد حسمت المعركة لصالح المقاومة وفيها حدثت ملاحم وبطولات .. رجف فيها جبل صبر، وتخلص من الدخلاء دفعة واحدة، ورماهم تحت قدميه.

وقد حدثت طرائف لطيفة؛ منها حكاية مقاومة المعزة (بقش) ، فعندما فرغ أحد المتارس من المقاومين، حضرت (المعزة) ترعى حشائش في المترس، ووقفت خلف المترس؛ ظنها الحوثيون مقاوما، وكلما رفعت رأسها يطلق الحوثيون عليها النار، بينما تعود الماعز لترعى ثم ترفَّع رأسها، ترعى ثم ترفع، وفي كل مرة يعود الغزاة لضرب النار!

خاضوا معركة مع (بقش) دون أن يتجرؤوا على التقدم، فأمامهم قناص محترف لا يضرب النار إلا على دم!! أو هكذا خُيّلتَ لهم (بُقَشْ).. أعاقتهم عن التقدم، بل منعتهم من الفرار وساعدت في الهزيمة وعملية الأسر!!

- الحاج عبدالرحمن» صاحب المعزة (بُقَشْ) وهو يمسح على ظهرها بعد النصر، يهتف ضاحكاً: «كلنا مقاومة ».

و تحكي الحجة سلمى لصاحباتها : «اسمعين .. اسمعين حتى (بُقَشْ) حق عبدالرحمن قاهي (مقاومة) واستمرت تحكي القصة باهتمام ، وتضيف: «شِسلط

[1] - (بُقَشْ) اسم يطلق على الماعز .

الله عليهم خلقه ؛ الحجر والشجر والبهائم والريح وضعاف خلقه وجنودا لم يروها"!

تم سجن الأسرى في المدرسة القريبة من المنزل المهدوم ، بينما وصل (محمد علي) مباشرة إلى أنقاض منزله الذي عاش فيه أجمل أوقاته ، مستعيد لحظاته الجميلة ، هنا كان مع أهله وأولاده داخل الغرف وفي الديوان الفخم مَع أهل القرية طالما فاخر به الآخرين.

وهو هنا أمام المنزل يشرب القهوة في الضحى مع (تفذيحة) قات (صناحفي) غرق في مشاعر متداخلة يضرب كفا على كف ، وبدا وكأنه أمام قبر حبيب بروح وليس أطلال جماد وأحجار!!

بدا على ملامحه الحزن، فحاول صاحبه)سعيد(أن يخرجه من هذه الحالة قائلاً: "تعال نرى هؤلاء المجرمين وهم مربطون مهزومون ، والبيت شيجي غيرها ما دام الكرامة بعافية يا علي"!

- أكيد .. هذا ما قاتلنا وضحينا من أجله ، بس أشتي أعرف يا (سعيد) ليش هؤلاء القرود يفجرون البيوت، والله إنها حريق و قهر.. هذه أعمال اليهود!

توجه من بيته التي أصبحت ركاما إلى الفاعلين وهم أسرى في المدرسة، دخل عليهم والقهر يفيض من بين عينيه، سَألهم: الشهداء وعرفنا ليش قتلوا شتقولوا حرب ، ولن أسالكم أيش جابكم قريتنا .. لا فيها يهود و لا أمريكان و لا داعشي ؛ لكن أشتيكم تقولوا لي أمانة ليش تفجروا البيوت ؟؟ لم يجيبوا .. كانوا مرهقين والانكسار واضح .

لوحظ علَى محمد علي أنه شارد يحدق في الأسرى ، وكأنه يتفحص شيئا ويدبر أمرا ما، وفجأة يخرج مسرعا ، وهو ما لفت نظر الأستاذ أحمد الذي التفَت إلى سعيًد قائلا: انتبه مالهُ صاحبَك خرج بهذه الصورة ؟! شفته خرج مش طبيعي ، أخاف تفجير بيته يسيطر عليه .. كما يكون راح مضمر شر.

- قصدك شسرح يندي السلاح .. (يقول سعيد) .

- أيوه انتبه لو طلعت فكرة تصفية الخبرة، وبعدين فضيحة وجريمة هذولا أسرى بذمتنا.

- سعيد مفزوعاً: اعذب الشيطان يا أحمد!

- أنا أقول احتياط يا سعيد.

يخرج سعيد مسرعاً ويلتقي بصاحبه راجعاً في باب المدرسة وهو يحمل كيسَ (جونية) على ظهره .

سعيد ـ مذعورا ـ : مو ذي معك يا محمد.. اعذب الشيطان الرجيم!

يرد محمد علي: ما لكش دخل.. وبعدين اعذب إبليس أنت أما أنا على حق وسأقوم بواجبي!.

- أيش من واجب هذولا أسرى يا محمد.

- أيوه لأنهم أسرى...

تظلم الدنيا في عين سعيد .

- بس.. بس

- لا تبسبس يا سعيد... بسباس بعينك!

- يلتصق سعيد بصاحبه محاولا إيقافه، قائلا وبفضالة زائدة موبه.. موبه الجونية؟ هاه

- محمد علي محتدا: موبه (مداعس قحاوف شنابل جزمات أحذية) .. موبك جننت بي.. ويلقي (الجوًنية) وينثرها أمام الأسرى و الآخرين الذين كانوا قد نهضوا متوجسين!!

تنفس سعيد وأحمد الصعداء فالجونية طلعت فعلا أحذية اشتراها من الدكانالمجاور ! .

- سعيد: لك صرع يصرعك وا محمد فجعتنا...

- (مبتسما) بس قلي يا حاج محمد مو ناوي تفتح محل (مداعس)؟

كان محمد علي قد لاحظ ما لم يلاحظه الآخرون؛ لاحظ أن الأسرى حفاة و بلا أحذية.. ويعتقد أن من المروءة ألا يبقوا حفاة!

ليوجه حديثه إلى الحضور: خذوا، هذه أحذية وزعوها للخبرة كثر الله خيرهم ما قصروش لكن هم الآن ضيوفنا .

كانت مفاجأة من النوع الكبير!

أحمد: والله إنك عظيم.. و يتقدم الفقي عبده ليقبل رأس محمد، بينما يبدي الأسرى امتنانا حذرا.

قال لهم سعيد: تعرفون هذا من؟ مشيرا إلى محمد علي.

هذا هو صاحب البيت الذي فجرتوها .

بدا الاندهاش والحرج على بعض الأسرى.. حاول أحدهم أن يتحدث لكنه صمت و لم يكمل.

خاطركم.. قال محمد علي وانصرف.

أدخل الأسرى إلى غرفة واسعة بينما أخذ أحمد و)سعيد(مكانهم بجانب باب الغرفة.

يخيم على الأسرى الصمت والإرهاق، يلاحظ على أحدهم الحزن، وبدا كمن يجفف دمعه.

اقترب منه)أبو حمزة(قائد المجموعة.. هيا يا (أبو أحمد) ما فيك تذكرت الوالدة وإلا أيش؟ اشتد يا مجاهد.. ليش تبكي؟!

- أنت تعرفنا يا (أبو حمزة) بس والله لأول مرة أثر علي موقف صاحب البيت الذي فجرناه .. بدل ما يقتلنا يرحمنا ليش؟ قال نحن (حفاة).

- سعليك يا ذاك ما تكبرهاش هذولا (دواعش) .

- أنا أسال الآن من نقاتل نحن؟ و على أيش نقتل؟

- يسخر منه أبو حمزة وآخرون .

- ينفجر أبو أحمد غاضبا و بصوت عال: عيالي اثنين قتلوا و ابن أختي وأبناء أخي ثلاثة وغيري مثلي في كلّ بيت مأتم، وهؤلاء الذي نقتلهم و قتلناهم في تعز و إب وعدن على أيش؟! ما حصلنا لا يهود و لا دواعش.

- أبو حمزة: العدوان.. يا أبو أحمد نقاتل العدوان الخارجي .

- لا تقل العدوان، نحن نقتل مِن قبْل العدوان و بعده، وحضرنا تعز من قبل العدوان ولو ما قتلنا بعضنا ما جاء العدوان .

و يستمر أبو أحمد وكأنه يعيد حساباته: في حاجة غلط.. أنا كل يوم تزداد قناعتي أنه في حاجة غلط، واليوم اقتنعت أننا في المكان الغلط؟ أين اليهود؟ أين الأمريكان؟ أين الدواعش الذين يذبحون؟

هذا الذي قتلنا أهله ودمرنا بيته يحق له يذبحنا من هانا.. .يشير إلى قفاه ،لكننا نجد فيهم رحمة والله ما يهود إلا احنا.. هذا الصدق .

- يتحرك الأسير فوزي - ضابط في الحرس الجمهوري - من مكانه قليلاً موجها كلامه إلى)أبو أحمد (: هيا مه يا (سيد) يا (أنصار الله) فلتين ركبكم؟!

- اسكت.. والله أنتم السبب و صاحبكم الذي زاد ورطنا مثل إبليس.

- يتدخل الأسير (حميد) - وهو منتسب آخر في الحرس الجمهوري - : أبو أحمد عنده حق، ما قام به صاحب البيت يستحق التوقف... نحن نقاتل أنفسنا.

- فوزي - ساخراً - : ما شاء الله يا حميد.. حتى أنت تتهابل يا (بعكوك!)

- يستوي حميد في جلسته مبدياً غضبه من (فوزي): ما تتهابل إلا أنت يا فندم

(فوزي)، خَلِّ عندك شجاعة واعترف بأن الخبرة انتصروا علينا أخلاقياً ولا تخليناش نخرّج المخبأ!!

ويستمر حميد في الحديث وكأنه يلقي بيان ادعاء تاريخي: على أيش ندمر البلاد، ونقتل شعبنا؛ تعرف أيش جرى في ذمار وصعدة وعمران و تعز؟ هؤلاء القتلى أنت عائش أكثر من عشر سنوات في تعز أيش وجدت فيهم؟ كلهم يمنيون ،على أيش كل هذا القتل على أيش كل هذا الدمار؟

قولوا لي: نحن نعرف على أيش؟ لكن نتعامس وندعمم ، كل هذا على شأن يحكم (السيد) وإلا (الزعيم) على شان فرد نقتل شعب . لعنة الله على (الكرسي) ،مع أن (الزعيم) كان يعرف ويقول «إن الكرسي من نار !! بس هذه النار لم نكن نعرف أن وقودها نحن الشعب، و أن نصف اليمنيين سيضعونهم وقودا تحت الكرسي، والنصف الآخر يقتلونهم فوق (الكرسي)، و الله إننا في دوامة.. مع به إلا (قِمْر) وعناد ؛ نقْمِر ولا جهنم يا فوزي يا محترم يابو البعاكيك؟

بدا حميد حازما ومقنعا في حديثه ، ليفرض الصمت بين الأسرى المنهكين نفسياً وجسدياً.

كان الأسير أبو حسين صاحب شخصية فكاهية وأخذ يقطع الصمت وهو يقول:

يا خبرة أنا أفكر بحاجة بس تدروا ما هي؟

- أبوحمزة: ما هي قل ما هي و خلصنا مش وقت الزبجة .

- أقووول أنا أفكر كيف (أبوحمزة) بقى يحارب ساعتين وخاض معركة حامية في وجه (غنمة) !! معزة والله معزة!! كيف هزمتنا معزة؟ تدروا لو مش المعزة كنا هربنا بجلودنا على الأقل ، والله إنك خضعي يا (بوحمزة) كيف تصورت لك المعزة ؟

الله لا ألحقك خير.. . هزمتنا (معزة) يا خبرة.. والله إنها خربت .. هههه ..

خلاااص .. ارقدوا ارقدوا

تعز.. طفل ما يفتجعش

لا شيء سيكسر إرادتنا.. هكذا قال عبد الرحمن بعد أن فقد ولديه بصاروخ أعمى.

ذات يوم من أيام سنة ٢٠١٥م ضرب صاروخ حي عصيفرة بتعز فقتل تسعة أطفال ، وكانت جنازتهم لعنة على القتلة وعارا على الإنسانية التي لم تحرك ساكنا .

شاهد الطفل (حمودي) كغيره من أطفال المدينة صور الطفولة وهي تموت كل يوم ؛ حضر إلى ساحة الحرية مع قريباته واستمع إلى خطيب الجمعة الذي تحدث عن المقاومة كمشروع حياة ، وأن تعز لن تنكسر لأنها تقاوم الظلم وتحررت من الخوف والفجيعة .

بعد الخطبة وُزعت صحيفة (المقاومة) النشرة اليومية التي تنقل أخبار المقاومة والشهداء وضحايا القصف، ورقة واحدة هي المصدر الوحيد لأهل المدينة يتزاحمون عليها وينتظرون كل يوم صدورها.

أخذ (حمودي) نسختين من صحيفة (المقاومة)؛ أوصل واحدة إلى جدته ومن حينها و(الجدة) التي تجيد القراءة مداومة على هذه النشرة و(حمودي) هو من يوصلها ، وكانت الجدة غالبا ما تعطيه قبلة على خده أو خمسين ريالا، وأصبح (حمودي) مثل جدته، وكثير من زملائه أمثال مجد ورماح يداومون على قراءة نشرة المقاومة ، وغالبا ما يحفظون أبياتٍ من زاويتها الأدبية (هاجس ثوري).

عندما سألته جدته أيش قال الخطيب في ساحة الحرية؟ - قال لها: الخطيب قال (تعز حَنِك.. تعز ماتفتجعش)

- وأنت يا حبوب ؟
- أنا؟ أنا (ما فتجعش).
- أيوه أنت من تعز.. وتعز ما تفتجعش .. تقول (الجدة) وهي تمسح على رأس(حمودي) بحنان، وتضيف: شنصرنا الله وشهزم المعتدي بحق الجمعة الجامعة و الدعوة السامعة .

تمر الأيام و (حمودي) ينام على أصوات الاشتباكات العنيفة ويصحو على دوي انفجارات الصواريخ التي تنهال على المدنيين أكثر بعد كل هزيمة يتكبدها الغزاة أمام المقاومة.

أصبح الانتقام من المدينة هو السلاح الوحيد والهدف الأول .

الشهداء يصعدون كل يوم تقريبا، و (حمودي) وزملاؤه يتابعون تفاصيل المعركة، لكنهم يوميا يقفون على قصةً شهيد تنزله صحيفة المقاومة ويرددون قصص الشهداء وينسجون الحكايات البطولية عنهم.. أصبح (حمودي) وزملاؤه أصدقاء للشهداء!!

لم يتركوا لعبهم في الشارع.. وعندما كان أحدهم يأمرهم بترك اللعب ويخوفهم بالقصف كان جواب الأطفال: عادي با نرجع شهداء؟ ويتبعها (حمودي) بكلمة (احنا ما نفتجعش).

زمان كان الأطفال يلعبون لعبة (أبو كلبة) وهي لعبه أسطورية تتحدث عن إنسان عاق لوالديه يمُسخ ليلا إلى (طاهش) ويطلع له (ذيل) ويأكل البشر خاصة الأطفال الذين يبكون أو يصرخون ليلا بحسب الأسطورة ، وكانت الأمهات عندما تريد تنويم الأطفال والتخلص من إزعاجهم تخيفهم بـ(أبو كلبة) المخيف الذي لا يقاومه أحد .. كان أطفال زمان يفزعون من أسطورة (أبو كلبة) كما كان الكبار أيام آبائهم (يتقطرنون) من جن الإمام !!

اليوم استبدل الأطفال لعبة (أبو كلبة) آكل البشر بلعبة (الحوثي) و(عفاش) .. والفارق أن (أبو كلبة) أسطورة وأطفال زمان كانوا يخافون من أسطورة (أبو كلبة) الذي لا يقاوم.

اليوم وضَع أطفال تعز ـ في لعبتهم ـ (الحوثي وعفاش) مكان (أبو كلبة) كأكلة بشر ؛ لكنهم حقيقة .. والحقيقة أيضا أن أكلة البشر يواجَهون بمقاومة شاملة فيها الأطفال الذين لا يخافونهم وما (يفتجعوش)، وفي نهاية اللعبة دائما تكون هزيمة (أبو كلبة) الحوثي وعفاش ، ويسقطون تحت أقدام أطفال تعز المقاومة تعز التي لا (تفتجع).

وهذا فارق جوهري بين الأمس واليوم ، يحدد معالم الغد و صورة جيل المستقبل و الوطن.

(محمد الطويل) ممن حضر حرب السبعين يوما في ستينات القرن الماضي دفاعا عن الجمهورية، يقول وهو ينفث سجارته في وقفة لتأييد المقاومة: زمان كنا وحدنا ثوارا و الشعب ولا هو داري ولا يعرف ما يدور ! اليوم الشعب هو الثورة.

ويعلق الدكتور (حمدي): هذه المقاومة من تلك الثورات؛ تكبر وتتراكم وتترسخ مع السنوات فتصير ثقافة شعبية وطبيعة عامة، عندها تتحول إلى شلال يتجاوز كل الحواجز ولا تتوقف حتى تصل مداها وهدفها النهائي، الدماء التي سقطت زمان تنبت وتثمر اليوم بشكل يخبرنا عن أسرار سنن الدهر وحركة التغيير و قوة الأيام الساخرة، التي تقهر الجبابرة بقوة الضعفاء والكلمة وروح الطفولة العصية على الخوف !!

في إحدى المرات سقطت قذيفة في حي الجمهوري عندما كان خط تماس؛ القذيفة أصابت تجمعا حول (بابور) ماء ، و كالعادة سقط شهداء وجرحى وعاد (حمودي) إلى جدته أكثر حزنا؛ لأن الطفلة (دعاء البريهي) قتلتها شظايا القذيفة وهي توزع صحيفة (المقاومة) التي يحبها .

كانت دعاء [حنك] و [ما تفتجعش] ، تذهب إلى مكان [القوارح] والاشتباكات .

.. يقول حمودي ، و يسأل : متى شاكون مقاومة يا جدة ؟ فتخبره: عند ما تكبر لكنه يسأل مستنكراً : ليش ؟ أنا الآن كبيييير!!!

كان حمودي يشعر بأنه يقوم بعمل منجز، وأنه مقاوم حين كان يقومبإحضار صحيفة المقاومة إلى جدته ، و كان جارهم الشائب يحيى كثيرا ما يمزح مع (حمودي) محاولا أخذ صحيفة المقاومة منه عند عودته .

هذه المرة أخفى الصحيفة تحت ملابسه الداخلية حتى لا يراها الشائب يحيى، مر على تجمع أصدقائه الذين بدأوا باللعب كعادتهم دون أن تخيفهم القوا رح والصواريخ .

بدأت أصوات القذائف تتساقط بالقرب من ملعب الأطفال الذين استمروا في اللعب؛ فهم في تعز التي ما (تفتجعش) و (حمودي) الذي ما (يفتجعش) بدأ ينشد مع أصحابه في وجه الصواريخ الأنشودة الشهيرة:

يا البنطلون واحنا اشتحطنا للركب ★★★ نحمي كرامتنا .. كرامتنا ذهب

وقبل أن ينهي الأطفال أنشودتهم سقطت القذيفة السوداء وتطايرت الشظايا والأشلاء .. وسقط شهداء وجرحى .. وكان (حمودي) أحدهم..

أسعف إلى المستشفى .. حاول الطبيب إنقاذه .. لكنْ عبثا يحاول ؛ فقد صعدت روحه.

استشهد قبل أن يوصل صحيفة المقاومة إلى جدته .

وعندما قام الطبيب بخلع ثياب (حمودي) الشهيد لفت نظره ورقة مخفية بعناية تحت ثيابه الداخلية.. لقد كانت صحيفة (المقاومة) !!

قال الدكتور أيش تعمل هنا صحيفة المقاومة ؟؟

ويضيف بإعجاب: بهذه الروح تعز لن تنكسر، واليمن ستنتصر.

كانت قطرة دم طاهرة قد سقطت من (حمودي) لتزين صحيفة المقاومة وتختلط بحروفها المعبرة ، قال الدكتور وهو يسلم صحيفة (المقاومة) لأحدهم: احتفظوا بهذه للتاريخ ، هذه ملاحم تصنع مستقبل ألف عام، وتعتذر عن سلبية ألف عام مضى.

سجلوا يا أبناء تعز .. ما يجري دروس للأجيال القادمة وجامعات العالم الحر .

في الغرفة المجاورة كان زميله الطفل (مجد) يعالج من جراح ذات القذيفة وعندما حاول الدكتور إخراج الشظايا وجده يبكي .

قال الدكتور: مالك يا بطل مفتجع؟

يجيب أمجد: لا .. أنا (مفتجعش) بس أبكي على أصحابي استشهدوا ؟؟!!

و يستمر الصمود و تستمر الصواريخ والحصار على مدينة لا تنكسر وأطفالها (ما يفتجعوش) ، ويرون الموت طيرانا إلى الجنة وطريقا سريعا إلى ملعب النور.

اليمن الجمهوري

ضمن ما يسمونها حملتهم الشعبية حضر الانقلابيون إلى مدرسة رابعة بالعاصمة صنعاء للتسويق لمشروعهم الانقلابي السلالي ، وأحضروا معهم جهاز النقل المباشر التابع لقناة المسيرة .

حاول رئيس وفد الحوثي الزائر أن يتحدث عن العدوان .. و قبل أن ينهي كلامه قفزت الطالبة (ربا) ـ وربا هي زهرة يمنية بنقاء ربا اليمن وصلابة جبالها ـ قفزت لتخطف الميكرفون من الانقلابي المنتفخ بالسلاح و المرافقين قائلة:

ما نعلمه أن هناك عدوانا داخليا يقتلنا كل يوم ، وتعز تدمر وأطفالها يقصفون بالصواريخ .

ارتبك من يظن نفسه سيد الأرض و مالك الرصاص أمام طالبات ضعاف لا يملكن سوى القلم الرصاص و المحبرة والروح الوطنية .

وبصعوبة أخذ الرجل الميكرفون من (ربا) وكأنه يتسلق إحدى روابي جبل صبر الشاهق أو قمة عيبان وبيد مرتعشة وصوت مبحوح قال:

العدوان السعودي يقتلنا.. وكمن يريد أن يهرب من الحالة الضيقة التي أدخلته فيها ربا، أخذ يهتف:

صامدون صامدون.. وهو يردد هذا الشعار كان مستعدا أن (يبيع أمه ويرهن خالته) ليسمع صداه من الطابور المدرسي في رابعة.. كان و هو يصرخ صامدون صامدون (يبهرر) في طابور الفتيات و لسان حاله: رددين يا بنات ولو مجاملة انقذوني أنا اتبهذلت (يا منعاه).

لكنه لم يسمع شيئا من أوهامه سوى الحقيقة التي ينكرونها؛ فـ(ربا) ترفرف كعلم وطني على ناصية الوطن، والكل متجه ببصره نحوها كممثلة عن الشعب وناطقة باسم الجمهورية .

ومرة أخرى تتقدم (ربا) بثبات لتخطف منه الميكرفون وهو مصدوم وفي شبه غيبوبة وتهتف بعزيمة الثوار:

بالروح بالدم.. نفديك يا تعز

لتضج المدرسة كلها: بالروح بالدم نفديك يا تعز.. بالروح بالدم نفديك يا تعز.

ويزداد غضب الطالبات ويقذفن المنصة بالجزمات ويفر الوفد إلى الإدارة بعد ما أغلقوا البث المباشر، وتسقط القوة المتغطرسة ذليلة أمام شمس الحقيقة ودارت الأرض بوفد الانقلابين وكأن أحجار المدرسة وترابها تهتف في وجوههم تعز تقتلكم و هي التي ظننتم بقتلها أنكم ستقتلون اليمن .

لم تكن تعز المنطقة و إنما تعز جرح اليمن النازف الذي يوجع الجسد اليمني ويحزنه.. تعز الجمهورية والثورة .

في هذه الأثناء كان أبناء صنعاء وعمران وأرحب يقتربون من العاصمة ويحررون مديرية (نهم) و يدخلونها على أنشودة أيوب طارش:

إنه يوم عطائي

فيه أغنيتُ تاريخي حياةً ووجودا

وبه مارستُ جودي.

وأطعتُ سماحاتي وبرَّيتُ الجدودا

القائد (مريم)

أربع ليالٍ سوداء صد فيها المقاومون موجات هجوم انتحارية ، في كل ليلة كانت الجثث تتناثر أمام متارس المقاومة في عصيفرة ، الجهة الشمالية من مدينة تعز بعد ما نجح الحوثيون في إسقاط (شارع الستين) والتقدم نحو (المقوات).. كانوا يرونها المنفذ الأسهل لإسقاط المدينة كلها.

الليلة الخامسة كانت مجهزة بدقة للاقتحام، واستكملت فيها كل التعزيزات.

بعد المغرب ، يتحدث قائد المجموعة الحوثية (أبو سعيد) إلى شباب المقاومة القريبين من مترسه : «الليلة ليلتكم يا دواعش .. كنوع من الحرب النفسية كانت المسافة قريبة من بعضها تحسب بالأمتار.

رد عبد الرحيم: نعم، اليوم يومك يا (بو سعيد) ، سنرمي بك الليلة إلى جهنم

- هههه يا (خضعي) ، انتهت المهلة خلاص.. الليلة حاجة ثانية ، قل لأصحابكم الكبار يلبسوا شراشف ويهربوا .. نصيحة .. عندما نصل الليلة لن نرحم أحداً .. قتلتم خيرااات.

كان(عبد الرحيم) شاباً جامعيا في العشرينات، كبير بروحه وثقافته، يتوقد ذكاء؛ وجه سؤالا إلى محدثه: يا (بو سعَيد) أنت [قنديل] و إلا [زنبيل] ؟

يسكت أبو سعيد.

- عبدالرحيم: ما لك سكت؟ يعني من السادة وإلا من العبيد.. إنسان عادي وإلا ملون؟!!

يضحك زملاء عبد الرحيم الذين يستمعون للحوار، فيرتفع صوت أبو سعيد غاضبا: يا خضعي غصباً عنك أنا خادم للسيد، والسيد سيدك وسيد العرب والعجم.- لالا يا (بو سعيد) سيدك أنت ، أما أنا فسيدي هو الله وعلى هذا نقاتل.

- السيد سيدك وسيد أبوك و أب أب أبوك يا داعشي.
- بس والله أنا زعلان عليك يا بو سعيد .
- على مه زعلان عليا، لأني باذبحك بعد قليل يا داعشي.

- لا أنا زعلان لأنك مش(سيد)، وجثتك ستبقى مرمية، وأنت عارف هم لا يسحبون إلا لو في (قنديل) و يخلوك وأمثالك من(الزنابيل) للكلاب ، و أنت داري يا بو سعيد! لكن و عد مني أن نكرمك بالدفن .. اطمئن .

صمت(أبو سعيد) وكمن سقط في بئر.. ثم تحدث بفتور، وهو يحاول أن يتماسك: والله إنك شيطان يا داعشي و أعوذ بالله منك!!

يلتفت أحمد إلى زميله عبد الرحيم وهو ينظف سلاحه: خلاص و الله إنك قتلته يا عبد الرحيم حقه معه .

بعد ساعة تقريبا ، يبدأ هجوم غير مسبوق، بدأ بكثافة أسلحة ثقيلة وصواريخ تسقط على كل مواقع الجبهة الشمالية وتحديدا عصيفرة..

أحرقت الأرض وتغطت السماء باللهب، وتحت هذا الغطاء الكثيف تم التقدم نحو مواقع المقاومة!

ثلاث ساعات من الهجوم الشرس امتصه الشباب بما يشبه المعجزة، ولم يتقدم المهاجمون شبرا واحدا ، لكن الموقع الذي فيه (عبدالرحيم) و(أحمد) فيه نقطة ضعف، توشك أنَ تسُقطَ الموقع ؛ فالذخيرة نفدت ولا أمل في المدد.

الذخيرة نقطة ضعف قاتلة، فوحدها من تجبر الشباب على التراجع .

أمر قائد الموقع بالانسحاب التدريجي وبقاء من تبقى لديهم ذخيرة يغطون الانسحاب، كان أحمد و زميلان له فقط من تبقى لديهم من نص أو ربع قرن قاموا بالتغطية وانسحب الجميع ما عدا (أحمد) فقد سقط مضرجا بدمائه في آخر لحظة .

كان جرح (أحمد) متوسطا ، وتمكن من الزحف إلى قرب أحد البيوت وبالتحديد أمام بيت (مريم) ، وهي امرأةً في الخمسينات، كانت ممن رفضن النزوح واعتبرن البقاء جزءاً من المقاومة..

لم تنم (مريم) ولا جيرانها ، فهم يتابعون المعارك كل يوم ويدعون الله أن تمر معركة الليلة الأشرس على خير؛ هي أحست باقتراب الحوثيين، وعندما خرجت إلى الشباك رأت (أحمد) ممددا ، وهو يتلوى ، وبدون أن تفكر خرجت بسرعة

لإدخال الجريح؛ كانت تحس أن التأخَر سيجعله فريسة بأيديهم.. طلبت منه أن يساعدها وهي تتأهب لحمله..

لكن(أحمد) وبألم حاول أن يقول لها لا فائدة فلن تستطيعي إنقاذي، وقبل أن يكمل حديثه، وضعت يدها على فمه وهي تقول بصوت خافت: أصه أصه يا ابني وبخفة عجيبة حملته إلى داخل البيت، و بدأت فورا بربط الجرح بشدة وأخرجت من الدولاب حبوبا قالت إنها تساعد على توقف النزيف، وبدون تردد أو سؤال شربها أحمد.

كان الفجر يوشك على البزوغ، وهدوء ما بعد المعركة يخيم على المنطقة، حتى الكلاب لم تعد تنبح كالعادة وهي تمشي تتشمم الأرض بصمت مذعور، والعصافير تضرب بأجنحة ثقيلة ممتنعة عن الزقزقة، والجثث مرمية على الأزقة والطرقات ،وبيوت مدمرة هنا، وسيارات محترقة هناك، والمدينة نامت بعد الفجر على خبر الصمود المدهش وكسر الهجوم!!

صباحا خرجت (مريم) وعلى رأسها دبة ماء فارغة متظاهرة بجلب ماء للشرب ،وعندما منعها مسلحو الحوثي توسلت إليهم فهي بحاجة لشربة ماء وأخبرتهم أن الدواعش منعوها أسبوعاً من الخروج ، وهي الآن تترجاهم لتركها، وفي الأخير نجحت بالمرور ، وذهبت مباشرة إلى السوق حيث تجمع المقاومة ، أوقفت أحدهم وعرضت عليه بطاقة أحمد: تعرف هذا يا بني؟

- أيوه هذا أحمد استشهد أمس الله يرحمه.

- لا يا بني ما استشهدش .. هذا جريح في بيتي عملتو اللي قدرت والباقي عليكم لو تأخر شيموت.

اجتمع شباب المقاومة وبسرعة عملوا خطة هجوم لإنقاذ أحمد بعد أن حددت (مريم) لهم موقع البيت ، وعرفوها جيدا ، والأكثر من ذلك أنها قالت لهم يمكن أن تنقذوه من خلف البيت هناك)شباك(مَفتوح يمكن إخراجه...

عندما عادت (مريم) كانت قد أخبرت أحمد بأن يستعد بجانب (النافذة) الخلفية، وحاولت حمله فلم تستطع: ثقيل لو اكه؟؟ واضطرت لسحبه على الفراش سحباً.

قال لها (أحمد) وهو بجانب النافذة: كيف أمس حملتينا كذه يامه؟ واليوم أنا ثقيل؟

- و الله مالي علم.. الملائكة الملائكة حملتك معي يا ابني، الله يشفيك وينصرنا على من تعدى علينا لا بيوتنا.

تم الهجوم ونجحت خطة الإنقاذ وحملوا أحمد بعيدا إلى المستشفى.

بعد يومين ذهبت (مريم) تسأل عن حال (أحمد).. استقبلها قائد المجموعة بترحاب شديد ممتنا لموقفها؛ قال لها: بفضل الله ثم بفضلك يا خالة (أحمد) بخير ،وهو يستعد للعودة والقتال.

- هيا بشرتني يا ابني، الحمد لله والله قلبي يحرق علوه قلتو أحي أشجن .. الله ينصركم.. وداعة الله.

تحسس قائد المجموعة جيبه فلم يجد سوى خمسة آلاف ريال مكافأة لها في هذه الأوضاع الصعبة؛ وحتى وإن لم ترد ذلك، فهي تستحق أكثر .

مد إليها المبلغ: يا خالة والله ما معي إلا هذه.

- الله يسامحك يابني.. مو احيتو أشتي (بياس) ، أنتم درعنا وجدارنا.. تقل لي (بياس)! احنا اللي مقصرين.. غاضبة: الله المستعان عليك.

- خلاص عفوا يا (خالة) أنت اللي عملتيه مش قليل.

- أني عملتُ واجبي، لو البلاد حقكم وإلا بلادنا ومدينتنا كلنا؟!

- اسمع شقلك ما ذلحين .. (تخرج خاتمها الذهب): أني ما معي إلا هذا لكن خذه هنيا.

وعندما رفض أخذ الخاتم.. قالت بحزم: ما عليك مش لك ودوه للمقاومة وأني كنت اليوم شتبرع به بالحارة شله .. شله يا بني ، كل حاجة فانية، وما يبقي إلا الشرف و الرجال .. مع السلامة .. أعطته الخاتم وانصرفت.

كان بجانب قائد المجموعة خمسة من بينهم (عبد الرحيم) يشاهدون ما دار كانوا يلحون عليه بإجازة يومين أو ثلاثة، وعندما جاءت (مريم) كان يقنعهم أن الوقت غير مناسب ، وعاد محاولا استكمال إقناعهم .

- يا شباب الوضع مش ... وقبل أن يكمل قال له (عبدالرحيم): خلاص يا أستاذ ..

(مريم) قامت بالمهمة ، ألغينا طلب الإجازة؛ بس نشتي خطة عاجلة لتحرير حارة (مريم) والموقع الذي بجانبه.

فاروق: أيوه صح.. والله اليوم أنا أخذت درسا للعمر من خالتي (مريم) ، لو حضر أكبر قائد وأكبر عالم، ما أثروا بي مثل (مريم).. أو القائد (مريم)!، أسميها القائد مريم .

- الرجال والنساء كلهم مثل (مريم)، يربطون آمالهم علينا يا فاروق: يقول قائد المجموعة .. كان هذا الحوار صباحاً..

في فجر اليوم التالي كانت حارة (مريم) وما حولها محررة ، استعاد الشباب الحارة والمواقع التي خسروها ، وفي معركة الاسترداد الأخيرة قتل أكثر من ستة حوثيين ، سحب الحوثة جثة واحدة واستماتوا لسحبها ، وتركوا خمس جثث ، كان منهم (أبو سعيد) ، صاحب (عبد الرحيم) .

- قال عبدالرحيم : والله يا جماعة أنا زعلان على أبو سعيد مِن صِدق.. الله يرحمه.

- قال (صالح) معترضاً : قل الله لا رحمه، و لا أسكنه الجنة .. هذا قاتل!

استغفر الله يا عبدالرحيم.

- استغفر الله في كل حال ، لكن أقول الله يرحمه و يرحمهم كلهم هؤلاء إخواننا ضحايا ، مغيبون يا صالح ؛ هم الآن يحسبون أنهم يقاتلون كفارا ويغزون بني قينقاع !! قل الله لا رحم من غرر بهم ودمر البلاد من أجل حكم الناس واستعبادهم.

الآن علينا القيام بإكرام الموتى ودفنهم .. تم تكليف (فاروق) بالتواصل مع (الهلال الأحمر) لإتمام الدفن .

يلتفت عبد الرحيم إلى المجموعة : مبروك علينا النصر، بس تدرون إلى من نهدي هذا النصر؟

- قال(علي): إلى أخينا أحمد.

- قال (صالح) : إلى الشهداء .
- عبدالرحيم : هذا النصر تحديدا نهديه إلى أمنا (مريم).
- أيوه.. إلى القائد (مريم).. يقول فاروق .
- نعم يا فاروق نهديه إلى القائد مريم ، وإلى الناس الذين نستمد منهم ، بعد الله، النصر والروح والشرعية.

الأسطورة (عبده الأكمح)

شاب في العشرينات من عمره، عرف في القرية بـ(عبده الأكمح) ، جاء هذا الاسم من إعاقته ، فهو معاق تماماً في رجله اليسرى منذ ولادته ، ولا يمشي إلا على العصا.

كان (عبده الأكمح) المعاق ، معافى الروح مستقيم الإرادة ، وجّه إخوانه أحمد ومحمد للتدريب في معسكر التربة بقيادة عدنان الحمادي، استعداداً للدفاع عن العرض والأرض كما كان يردد .

وعند ما وصل الحوثة إلى مركز مديرية المسراخ، وصولاً إلى أسفل (نجد قسيم) لم ينم (عبده الأكمح)، ولم يهدأ ، وبقي يحرض على المقاومة كقائد جسور مهموم بتحرير أرضه وأهله.

شجاعة وإقدام (الأكمح) مع إعاقته الشديدة كانت دافعا ومثالاً للشباب وكان المتحوثون يرون في (الأكمح) خطرا حقيقياً في حشد الشبابً بما يمثله من قدوة محفزة ونموذج يذبح الخوف والتردد.

أحدهم مغتاظا يتحدث إلى والد الأكمح :

- أنت مجنون تخلي ابنك يرمي بنفسه للتهلكة؟ راجع ابنك.. ما تستحيش؟
- أنا أفخر بابني، واللي يجب أن يستحي هو من يقف متفرجا أمام المعتدي .. تدري أنا أبحث عن سلاح لو حصلتُ سلاح شاكون في المقدمة بشيَبتي!!
- سعيد الذي عرف عنه الخوف، وُجد في مقدمة الجبهة، وعندما سأله أحدهم:

مالك يا (سعيد) ؟ أيش اللي جرى وأنت تفتجع من (عومتك) ؟

- أجاب سعيد : يا رجل عيب الخوف.. من يرى (عبده الأكمح) يستحي أن يخاف أو يفتجع .

حاول الكثير إقناع (الأكمح) بعدم الانخراط في المقاومة، فحالته لا تسمح بالسير الطبيعي، ما بالك بالقتال.

- أنت معذور يا عبده.. يقول الحاج أحمد، ويضيف: يكفيك أنك دفعت بإخوانك، وعليك أن تعرف أنه ليس على الأعرج حرج، هذا عن الأعرج، أنت أكثر من أعرج؛ أنت معاق.

لكن (عبده) لم تهزه كل التحذيرات، ولم يلتفت إلى التبريرات، ومع الوقت لم يعد أحد يفكر بالحديث عن إعاقة (عبده الأكمح) الذي أصبح القائد (عبده الأكمح)، روحا دافعة ونموذجاً صارخا للبطولة، وهو يحول إعاقته إلى مصدر قوة وتأثير معنوي كَبير! .

قال الأستاذ محمد: لقد عجزنا عن ثني (عبده الأكمح) لأنه شاب لا يعترف بالإعاقة، ويؤمن أن الحياة فرصة عطاء يقتنصها الأبطال لتقديم أغلى ما يملكون في الأوقات الحرجة التي تناديهم فيها أوطانهم، و(عبده الأكمح) لم يضيع هذه الفرصة، لأنه أدرك أن أمامه فرصة ثمينة لممارسة دوره كبطل في المقدمة بعيداً عن دائرة الهامش وزاوية الخوف.

اهتزت الأرض من تحت أقدام جماعة (الحوثي وصالح)، التي قدِمت من خارج المحافظة.

فقد أصبح منطق الأرض والشجر والإنسان (كلنا مقاومة) ؛ نساء ورجالا وأطفالا، وعندما يتردد أحدهم أو يخاف ينظر إلى صولات الأكمح (المعاق) فيربط على قلبه وينطلق.

اشتعلت الأرض الممتدة من عزلة الكلائبة إلى (بني علي الحاج)، ومن (طالوق) إلى (الوجد) ، وأصبح قاع (حبأ) الممتد والذي يربط (المسراخ) بـ(المعافر) عبر عزلة الكلائبة فوهة بركان ، تحت أقدام الجماعة الغازية بينما استمر جبل الراهش (غربا) ، وضحيح (شرقاً) يزمجران غضباً وناراً وإرادة لا تقهر، معبرة عن قوة الإنسان وصلابَة روحه .

في البداية قام قائد المجموعة بوضع (الأكمح) في الصفوف الخلفية لحماية المهاجمين ؛ وهو مكانه الطبيعي، ورغم أنه قام بدور هام فقد ضاق من الصفوف الخلفية؛ فهو من صنف الرجال الذين يعشقون مقدمة التضحيات ومواجهة الأخطار ومصارعة الموت)رأساً برأس(!!

وتحت إصراره ، اقتنع القائد أن يكون (الأكمح) في المقدمة وضمن مجموعة الهجوم والمهمات الخاصة.. لم يعترض أحد من أفراد المجموعة بل اعتبروا وجوده رافداً للمجموعة ومصدر قوة.

منظر القائد (عبده الأكمح) وهو يحمل (الآلي) ويسير على (العصا) مسرعاً بصورة عجيبة ، هو سير أشبه بالحبو ؛ لكنه أيضاً حبو أقرب إلى الطيران!!

يتحرك مع زملائه دعبوش وهيثم وعبد الواسع وحمزة وحمدي وآخرين بين البيوت والمواقع بخفة عجيبة، ويقوم بعمليات كر وفر مع أفراد (الشريف) و(محمد الفاروق) ، ليحققوا انتصارات متتالية وتسللات ناجحة وهجمات موجعة.

لم يَ ْشكُ أحد من ثقل (الأكمح) أو تباطئه، والبعض يسير بجانبه كمن يسير بجانب قائد مكتمل الجسم والتدريب والاحتراف!!

هناك بطولات أسطورية يقدمها زملاء عبده الأكمح ، لكنه كان بإعاقته أشبه بمعجزة أوجدتها روح المقاومة عند الناس، ويعلق القائد خالد عن حالة (عبده الأكمح) بقوله : إن الشعوب تحيا بإرادتها ولا توقفها الإعاقات ولا الحواجز والأكمح يمثل عندي كتيبة بكاملها.

كان يختار وزملاؤه وقت ومكان الهجوم ونقاط ضعف العدو لخبرتهم بالمكان ،وكانوا يكبدون الجماعة التي اعتقدت يوما بأنها مرعبة لا تهزم، وبعد كل هجوم كان الشباب مع الأكمح يعودون ليتندروا بذُعر جماعة الحوثي وفرارهم.

كان يرى أن الحرب هي حركة لا تتوقف، وبهذه الحركة سيطروا على العديدمن المواقع والمنازل التي كانت بيد الحوثيين.

في أحد المنازل التي حرروها من الحوثيين وجدوا (دبتين) بترول وقارورة (خمر) ، علق أحد الشباب ساخراً وهو يكسر القارورة بقوله: مسيرة قرآنية تتغذى على الخمر والدم !!

كان الحوثيون قد أعدوا هجوما لاستعادة المنازل والمواقع التي حررها (الأكمح) ورفاقه، واستدعوا تعزيزات جديدةً خاصة، وهذه المواقع تمثل تهديداً مباشراً على الحوثيين وتبعد عن مركز المديرية مئات الأمتار .

كان الهجوم الحوثي كبيرا والكثافة النارية عالية، قاتل (الأكمح) ورفاقه كالعادة ،وتحت كثافة النيران والهجُوم الكبير اضطر زملاء (الأكمح) إلى الانسحاب إلى الخلف، بينما بقي هو يضرب النار في مكانه صامداً كجبل (الراهش) ، شامخاً كقمة (العروس) !

أصيب بثلاث طلقات في ضلعه الأيمن، ثم طلقتين في يده اليمنى وطلقة رشاش معدل في رجله اليمنى (السليمة)، التفت إلى التلفون ليتصل بزملائه ليسعفوه بكل هدوء وكأنه يؤدي عملاً روتيناً.

الرصاصة السابعة استقرت في يده اليسرى أثناء اتصاله!

أصبح مثخناً بالجراح، ورجله اليمنى التي يتحرك بها لم تعد قادرة على الحركة .

اقترب منه ثلاثة مسلحين حوثيين، كان ينظر إليهم كصقر وبهدوء حاول أن يسحب سلاحه ليضرب الرصاص عليهم، لكنه لم يعد قادراً على الحركة ولا تحريك أصابعه .

اقترب منه مسلحو الحوثي، وكان ينتظر لحظة الاستشهاد لكنهم مروا عليه سريعاً ونجا منهم بأعجوبة!

الحاج إسماعيل يقول: إن (عبده الأكمح) أرعبهم جريحاً كما أرعبهم مقاتلاً ،فقد كان أسطورة فداء واسمه مثلّ رعبا حقيقيا لمقاتلي الحوثي، فقد كانوا ينظرون إليه كحالة وراءها سر أسطوري وحالًة سحرًية؛ خاصة والجماعة غارقون في الأساطير والأوهام.

تحرك (الأكمح) إلى الخلف، ولأول مرة يحس ويستفيد من رجله اليسرى المعاقة والذابلة تماماً منذ مولده!

حَبَا حبوا بجراحه حتى لاحظه زميله (فتح) وهو شاب مقاوم من قرية (الجرجور) المُجاورة .. أخذ)فتح(ينادي أصحابه لإسعاف عبده، حمله على ظهره

وسرعان ما طرحه لصد هجوم ، وبعد خمس دقائق يعود لحمل (الأكمح) وإسعافه وهو مثخن بجراحه من سبع رصاصات استقرت في جسده.

في سوق (النشمة) تم إسعافه إسعافا أوليا، وفي مركز (التربة) أدخلوه المستشفى لكن الكهرباء كانت منطفئة.. سمع أحَدهمَ يقول لآخر: شغلوا الكهرباء عندنا جريح ، ليرد هذا بالرفض قائلاً: كيف (نلصي) الكهرباء على جريح واحد؟

هذا الموقف أزعج (الأكمح) ، فتوجه إلى المرضين يشتمهم (على الطريقة التعزية).. ويطلب من مرافقيه إخراجه من المستشفى حتى لو جاءت الكهرباء.

كان هذا احتجاجا مرسلا إلى مستشفى التربة على النظرة القاصرة إلى الإنسان ،فالجريح الواحد هو أمة في نظر ملائكة الرحمة، والواحد يساوي الألف وهذا هو المفترض .

تحركت سيارة الإسعاف مباشرة نحو (هيجة العبد) إلى عدن، مرت ساعات طويلة ووعرة، وعندما وصل مستشفى عدن كان منهكاً لكنه ما زال في كامل الوعي.

قال له الدكتور وهو يسعفه: أيش فيك؟ قال: كنت بالجبهة.

الدكتور غاضباً: كنت بالجبهة أيش وديك الجبهة ما فيش شباب؟ تسوي نفسك قائد كتيبة وأنت معاق؟

رد عليه بلسان ثقيل: أنت بس شوف شغلك لو سمحت.

مكث (الأكمح) خمسة أيام في غرفة الإنعاش، خرج منها ثم عاد فيها ليومين ،ليخرج بعدها بصورة جيدة يتحدث عن الجبهة والمعركة والانتصار، ويسأل عن زملائه، ويتأكد من تحرير مركز المديرية.

قال له الدكتور مستغربا ومعجباً: أنا عندما شفتك رحمتك، وزعلت عليك وقلت ليش حمّلوك (آلي) ؛ أمّا الآن أنا أطلب منهم بأن يحمّلوك مدفعا !!

أم جلال .. كتيبة التمويل الخاصة

أم جلال .. امرأة عصامية قوية وواعية .. عندما هجم الحوثيون على تعز وجدت زوجها قد التحق بهم ، ولم يعد بمقدور (سالم) أن ينكر ذلك ؛ لقد أصبحت حركته مكشوفة ، وهو الذي حرص أن يخفي ذلك عن زوجته التي ترى في الحوثي و عفاش مصيبة ودبورا .

- هيا مو يا سالم مش راضي تبعد الدبور، أمس حلفت إنك مش مع أحد ،وأقسمت إنك مشتحاربش أهلك ؟

اليوم مو هذا فوق ظهرك، مُشقّر به مثل إبليس؟! يعني شتقتل أهلك يا سالم؟

- لا و الله ما شقتل أحد يا (مكلف) أنا أدبر حالي، الناس كلهم يدبروا حالهم بمصروف و سلاح و رصاص و(طز) بهم.. وعلى مو أقاتل مو أنا أهبل ؟

- والله إنك أهبل يا (سالم) هي حرب مش صفاط ، مش وحدك الحاذق شتورطنا و ما شتدري إلا وأنت غارق بدم عيال عمك وإخوانك !

- الله يصيبك ويلعن الطمع ما نشتيش (بياس) ! الأصل تكون رجال مثل)محمد(أخوك و)سعيد(ابن عمك شلوا سلاحهم يدافعوا عن مدينتهم وأعراضهم.

- يا أم جلال (سكهينا) محمد وسعيد أيش الفرق بيني وبينهم هم حملوا سلاح وأنا حملتُ سلاح، ما أحد شحارب؛ كله مصالح يا أم جلال أنا فدا لا تكونيش بدوية .

- أني بدوية (كشفك).. مو هذي المصيبة اللي أصابني الله بك؟ تدري.. محمد أخوك شيكون فخر لأولاده لو استشهد.. فخر لنا كلنا.. لكن أنت لو قتلت مو نقول؟ فضيحة ؟

كيف شمشوا عيالك بين أصحابهم.. شكونوا عيال الخائن سالم ؟

اعذب الشيطان الرجيم يا رجال ورجع بندق إبليس هذا اللي على ظهرك ..

وحّشت بي الله يوحشك.

- يا مرة لا تكثري به خلاص .

- لا أكثر به ؟! صحيح !! هيا اسمع.... يا أني يا هذا البندق بالبيت ؟

لم يكن سالم ليقوى على فراق زوجته فهي امرأة البيت ومدبرة ومربية الأولاد ،ولم يجد إلا الرضوخ والوعد بإعادة (السلاح) والكف عن الالتحاق بالحوثي .

كانت أم جلال تعلم أنه لن يمتنع عن السير بركابهم؛ فقد بدأ يتصرف خارج البيت كقائد مجموعة، وعقد اجتماعات مع آخرين، لكنها كانت تريد أن تخفف من حركته وتبعده عن أن ينطلق من البيت في أعماله العدائية، حتى يشعر بالخطيئة أمام شخصيتها القوية التي كان يصفها بـ (البوليس) .

عندما اندلعت الاشتباكات استطاعت المقاومة أن تسيطر على المنطقة ليفر سالم مع من فروا من الحوثة والمتحوثين .

توسعت المقاومة واستولت على منطقة الستين في الجهة الشمالية كاملة وعملت نقاطا كثيرة، وأحضروا دبابات ليصبح شارع الستين مفتوحا للمقاومة كان ذلك في بداية الاقتحام.

و لأن جماعة الحوثي و صالح كانت ترى في مدخل الستين موقعا استراتيجيا لاقتحام المدينة وخنقها فقد أعدوا فرقا كاملة من معسكر اللواء ٢٢حرس ؛ أكبر معسكر في المحافظة ، مع كتائب الحوثة الخاصة، وهجموا على الجهة الشمالية بكثافة نيرانية وبسياسة إحراق الأرض، لكن النتيجة كانت صمود المقاومة وتكبد الجماعة خسائر فادحة .

واستمرت المعارك الملتهبة أسابيع سقط فيها شهداء بعضهم قادة فاعلون دون أن تتقدم قوة العدو خطوة واحدة .

وفي صباح ذات يوم من منتصف العام ٢٠١٥م استيقظت المدينة على سقوط جبهة الستين ، وكانت يوما أسوداً على أهالي المدينة الذين أخذوا يتساءلون عن سبب السقوط؟ فالجبهات في تعز كما عرفوها صامدة تتقدم ولا تسقط؟

جماعة الحوثي وصالح نقلت كل ثقلها ومعسكرها إلى هناك كمعركة مصيرية لتبدأ معها اجتياح المدينة أو هكذا توهمت حينها، و كل ما استطاعت المقاومة فعله في ذاك الصباح هو سحب الأسلحة الثقيلة والدبابات إلى جبل جرة؛

بينما أعطيت أوامر لبقية المجموعات بالانسحاب أمام كثافة الاجتياح إلى مواقع خلفية ليبدأ معها ترتيب المقاومة وصفوفها .

الحرب كر وفر.. قال القائد (نبيل) ، ونحن لم نبدأ بعد، قالها لأفراده بثقة كبيرة أعطت انطباعا إيجابيا.. وكمن يعِد بتلافي قصور مّا، أضاف قائلاً لنبدأ العمل الآن واللحظة، ولن يتقدموا خطوة بعد اليوم ولو بقوا سنوات.

كانت قرية (أم جلال) بالقرب من الستين، و عندما انسحب منها المقاومون كانوا في وضع لا يستطيعون معه سحب الذخيرة؛ فهم مؤخرة لحماية الانسحاب ،وعندما بدأ القائد)فيصل(البحث عن مكان لإخفاء الذخيرة قبل أن يصل الحوثيون لم يجد، وبدأ التفكير بتفجير الذخيرة وهي كمية غير قليلة وقبل أن يبدأ جاءت (أم جلال) التي يعرفها المقاومون جيدا كداعمة للمقاومة وقيادية بين النساء ،لتعرض عليهم بكل ثقة إخفاء السلاح في منزلها:

- خلوا الذخيرة عندي في البيت وشنبصر طريق نهربه لكم .

كانت مفاجأة؛ فعمل مثل هذا لا يقدم عليه إلا الشجعان من الرجال؛ إذّ هو يعرض صاحبه لمخاطر حقيقية ويهدد الحياة !

أم جلال كانت جازمة واثقة، ولم يجد القائد سوى تنفيذ المقترح خاصة ورصاصات المهاجمين تقترب و تصل إلى المكان .

بدأت المقاومة تثبت مواقعها بمكان غير بعيد من بيت (أم جلال).

قال عبد الرزاق للقائد: ذلحين كيف طرحت الذخيرة عند (أم جلال) مش عارف إن زوجها حوثي؟ تقول ما خدعناش؟

- لا يا عبد الرزاق أم جلال امرأة صادقة من بنات تعز.

أنا مش خائف منها .. أنا قلق عليها لو اكتشف الأمر ستتعرض المسكينة لأذى .. "هؤلاء مجرمون" .

بعد ثلاثة أيام كانت (أم جلال) قد خرجت إلى السوق، وعند عودتها مرت على قائد المقاومة الذي سلمها الذخيرة .

وبلغة المقاوم قالت: اسمع.. الذخيرة عندي بأمان وأفكر بتوصيلها لكم .

- قال عبد الرزاق: وزوجك (سالم) كيف؟

- مش عليكم (سالم) .

كان سالم قد عرف بحقيقة الذخيرة وأخبرته زوجته وأنها تقوم بواجبها وعندما بدأت تؤنبه على استمراره، قال لها: أحسن حاجة عملتيها ! أنا معك.. خلينا مع الحوثي وأنت مع المقاومة أهم شيء بيتنا لا تخرب .

- والله بيتنا أشوفها خربت بك يا (سالم).. الله يهديك.. لكنها بدت لينة معه هذه المرة من أجل (ذخيرة) المقاومة التي في البيت، بينما رأى (سالم) في قصة زوجته مع (الذخيرة) ورقة تلطيف أو رشوة يقدمها لزوجته لكي يخفف من حنقها عليه، ووعدها بكتمان الأمر، مؤكدا: الأمر يضرنا ويضرك أنت.. لذلك أسرعي بإرجاعها احتياطا.. أنا قلتُ لك أنا مع نفسي أدبر حالي .

عندما انصرفت أم جلال من عند المقاومة كانت قد أعطتهم خطة لإعادة الذخيرة ملخصها:

- عندما تحتاجوا رصاص (آلي) اعملوا (رنة) واحدة وعندما تحتاجوا رصاص

(شيكي) اعملوا (رنتين) وعندما تشتوا قنابل اعملوا ثلاث (رنات) .. طرحت الخطة أمامهم للتنفيذ كقائد عسكري خريج كلية عسكرية وانصرفت وهي تقول:

أهم شيء تشتحطوا وما ترقدوش .. والله إني مغلوبة غلب حمار، وثلاثة أيام لا أنام من القهر.. استعدوا ولا تدخلوا بينكم ضعاف ولا خونة وعليا.. والله ما يقدروا يتقدموا شبر.. خوافين.. الله يصيبهم .

بعد يوم قال عبد الرزاق للقائد: كه اعمل رنة لأم جلال .. رنة واحدة بس.

- ليش؟ مو عجلك.. معنا ذخيرة ما نحتاج .
- أدري أدري بس اعمل رنة لو سمحت .
- مش واثق بالمرأة؟ والله إنها تزن مدينة .
- لا واثق والله بس أشتي أشوف (أشجن) .. اعمل رنة ما شضركش حاجة
- اهه هذه رنة أعجبك.

لم تمض ساعة على الرنة إلا وشنطة ذخيرة (آلي) أمام القائد الذي التفت نحو عبد الرزاق : قم يا عبدالرزاق احمل الشنطة .

قبل أن تنصرف قالت : اليوم علمتُ إنهم شهجموا الساعة ٥ الفجر من المدخل القريب من السائلة .

- عبد الرزاق: الله يرحم والديك يا أم جلال أتعبناك معنا .

- لا ما اتعبتنيش.. أني ما أشتغلش معكم.. أنتم اللي تدافعوا عننا وأني أعمل واجبي.. مع السلامة .

كانت أم جلال تتحرك بحرية، وكونها زوجة (سالم) أعطاها مساحة الحركة بعيدا عن الشك.

واستمرت الخطة تنفذ بنجاح بحسب (الرنات).

كانت الاشتباكات لا تهدأ.. ومع تساقط الضحايا من الحوثيين تزداد وتيرة الهجوم وعددهم.

أخذت الحارة تتحدث عن العدد المهول لقتلى الحوثيين الذين يبقون في الشوارع دون أدنى اهتمام:

قال الحاج (ناجي) وهو يتساءل عن سر عدم الاكتراث بالقتلى: معقول هؤلاء الجماعة عندهم الإنسان رخيص إلى هذه الدرجة يرجمون بأصحابهم إلى التهلكة بدون احتياط أو تريث.. كأنهم قاصدين إبادتهم.

في إحدى الليالي اشتدت الاشتباكات وطالت، كان هناك مدد كبير للحوثين الذين عزموا على اقتحام الموقع .

وعلى غير العادة استمرت المعركة حتى الفجر، و بعد الفجر استأنفت المعركة بفرقة جديدة من الحوثيين، و المقاومة منهكة، والخطر في نفاد الذخيرة ـ و هي نقطة ضعف متكررة ـ ورغم اتصال القادة لإمدادهم بذخيرة إلا أنها لم تأت حتى الفجر، وبدأت فكرة الانسحاب تطل بوجهها القبيح.

- والله لنحارب بالحجارة.. يكفي انسحاب.. الموت أشرف (يقول عبد الرحمن) ،ومن تأخر يتحمل المسؤولية .

- اقتصدوا بالذخيرة و لا يهمكم سأتصل الآن .

الساعة السابعة صباحا و لم تحضر الإمدادات.. القائد كمن يهيئ أفراده للانسحاب، يقول لهم: كأننا سننفذ مرة أخرى انسحابا تكتيكيا يا شباب.. استعدوا.

يقفز عبد الله من مكانه: ما فيش انسحاب لا تفكروا بالانسحاب .

يقترب عبد الرزاق و بهدوء: يا أستاذ اعمل (رنة) لـ (أم جلال) والله إنها أسرع .. ليش نسيت؟

- أيوه (أم جلال) أيش نسانا؟ الإرهاق.. يضرب كل (الرنات) رنة وبعد لحظات

(رنتين) وبعد لحظات ثلاث (رنات) ، وكمن يقول نحن بحاجة إلى كل الذخيرة. استمر الصمود.. الساعة الثامنة تكاد الذخيرة تنفد نهائيا، وبدأ الاستعداد العملي للانسحاب الثقيل على نفوسهم .

- ملعون من انسحب، يقول عبد الرحمن بغيظ شديد .

في الساعة الثامنة وخمس دقائق وموقع المقاومة يرتفع بالتكبير بأعلى الأصوات وهو الصوت الذي أرعب المهاجمين وأربكهم.

لقد وصلت (أم جلال) مستعينة بامرأتين من حيرانها، وكان المدد ما تبقى من الذخيرة بأصنافها الثلاثة بحسب الرنات وهي كمية كانت كافية لصد الهجوم وإسقاط قتلى وجرحى من المهاجمين، ومع الذخيرة حملت أم جلال وصاحبتيها دفعة من المعنويات اللازمة .

عندما انكسر الهجوم و فرت المجموعات المهاجمة وصل تعزيز للمقاومة مع ذخيرة كافية لكنها وصلت متأخرة ولو لم تكن أم جلال لكان الموقع من الماضي.

كان يوما صعبا ومرهِقا، لكنه توُج بنصر كبير؛ فقد كان الهجومُ كبيرا جدا، ومعه توعد الحوثيون بل وأعلنوا سقوط الموقع قبل بدء الهجوم.

قال (القائد): شكرا لله وشكرا لكم يا شباب أقبل أقدامكم .

قال عبد الله: الشكر لـ (أم جلال) نقبل التراب الذي سارت عليه.

ردد الجميع: والله (أم جلال) هي البطل .

- عبدالرزاق: هذه روح من روح الله.. هذه كتيبة تموين خاصة، ومدينةٌ نساؤها على هذه الصورة تستحق التضحية، ولا بد لها أن تنتصر .

الغمامة عزيزة

بعد تراجع الجيش الوطني والمقاومة عن قرية (عقاقة)، جنوب غرب مدينة تعز، تمدد نحو منطقة حذران والربيعي ، شمال الضباب، وصولاً إلى طريق الحديدة تعز، وهي منطقة مفتوحة صارت مسرحاً دائما لمعارك شرسة، وعمليات كر وفر.

تحولت تلك القرى إلى حاضنة اجتماعية، والتحق شبابها بالمقاومة؛ ولم تتأخر الحاجّة (عزيزة) عن الالتحاق بالمقاومة؛ فقد كانت تبشر بها، وتدعو لها قبل قدومها إلى القرية.

الحجة (عزيزة) امرأة عصامية في الخمسينات من عمرها، من قرية (الصياحي) الواقعة بين ميلات جبل حبشي، وحذران التعزية ؛ وبسرعة فائقة أصبحت عزيزة إحدى معالم المقاومة بالمنطقة بشخصيتها القوية والمؤثرة ونشاطها المتميز وحبها وإخلاصها للمقاومة وأفرادها، حيث كانت غالبا ما تحرسهم من سطح بيتها القريب، وتسهر خوفاً عليهم كما تخاف الأم على أولادها!

أكثر ما كان يثيرها هم العملاء الذين ينقلون أخبار المقاومة، وتعتبرهم أخطر من المعتدي.

تقول (عزيزة) في اجتماع لنساء القرية: التعاون والتعامل مع الحوثي خيانة ،وقتل لنا كلنا، والذي يخون نعلقّ أبوه فوق شجرة (العِلبْ) .. مؤكدة على دور نساء القرية في فضح ومراقبة هؤلاء ودعم المقاومة: وأنتن أعرَف بالقرية هذا واجبنا يا أخواتي.. كانت تتحدث كما يتحدث القائد، بثقة كبيرة.

- نعم اختي عزيزة احنا (المكالف) مثل الرجال تماماً ، نستطيع نكون مقاومة ،

(تقول سلمى).

- أيوه يا سلمى، دورنا أكبر، احنا أساس المقاومة.

علينا أن نشد أبناءنا وأزواجنا يقعوا رجال، ويسجلوا بالمقاومة، ونحن معهم ما يصلحش نقع متفرجين.. الموت مكتوب وما حد شرجع بطن أمه ثانية.

وتضيف (عزيزة): أني اليوم وديت ابني وشجعتهُ، والتحق بالمقاومة، والله كم ارتاح قلبي وارتفع رأسي وأني أشوفه (مبندق) بالسلاح يدافع عن القرية ويحارب اللي اعتدوا علينا إلى بيوتنا.. مو (عنّهم) هم (وحوش) واحنا (أرانب)؟!

تتحدث (فاطمة) معترضة بلطف: أنا معك يا عمة (عزيزة) بكل شيء، لكن أخلي ابني يقاتل وأودوه إلى التهلكة بيدي ما يصلحش ولا شقدر.

- لو يا فاطمة ؟ واللي يقاتلوا مش عيالنا وإلا ثانيين ؟ وإلا إحنا جازعين طريق مش من البلاد؟ وإلا تقولي أولادنا مش رجال؟ أقلكن خافين على (عيالكن) من المذلة والإهانة مش من الموت!

الموت لا جاء أهلا وسهلا به قضاء وقدر.. وابني أشرف له يموت أسد ونسر، ولا يموت (عسيق) و (دجي ذاغر) !

- سلمى: والله صدقك واعزيزة صدقك.

نسيبي ابن اختي (غصون) ، روح نازح هو وجهاله من المدينة، هربوا من القصف بعد ما قتلت أسرة كاملة من حيرانهم بصاروخ، لكنه أمس مات وهو يتغدي ويضحك، اقتلب ومات وكان صحيح فصيح !

- أني (حميسك) و(سلمى) هيا خبريهن، الله يرحم نسيبك كان رجال، ولو هله شنشوفه بمقدمة المقاومة لكن نأخذ عبرة.. الموت هو الموت مسجل ومرقوم.

كانت عزيزة بحركتها وكأنها تؤسس في القرية لمقاومة صلبة بروح جديدة.

ومع اشتداد المعارك، زاد دور عزيزة التي قامت بدور أساسي بتزويد مواقع المقاومة بالطعام بشكل شبه مستمر.

قال (عبده الوافي)، وهو قائد مجموعة في المقاومة: كانت (عزيزة) تقوم بأكثر من دور، إضافة إلى تزويدهم بالطعام، كانت تزور المواقع وتحمسهم بشكل عجيب؛ عندما كانت تشعر بحاجتنا إلى الطعام نهارا أو ليلاً، لا ندري إلا وهي والطعام بجانبنا، وعندما لا تجد تعطينا اللبن وأحيانا بسكويت وعصير تشتريه من الدكان.

عُرفت بين المقاومين بـ(الأفندم) عزيزة، ولأن الجبهة جبهة جيش في الغالب ،فـ(الأفندم) يعني هنا القائد، بينما كان المتحوثون يطلقون عليها فيما بينهم العقيد (عزوز) ؛ إشارة إلى أنها تقوم بدور ضابط الاستخبارات بسبب حصارها وتتبعها ومضايقتها لحركة المتحوثين، وتجنيدها النساء لمتابعة ومحاصرة حركتهم ،فهي تعرفهم جيداً وتذهب إليهم تنبه وتقنع وتحذر بحرص.

عندما تمادى أحدهم في التواصل مع الحوثيين، وضبطته يزود الحوثيين بمعلومات عبر التلفون، لم تتردد في الإبلاغ عنه ليقبض عليه فوراً.

كان الضغط على جبهة ميلات - حذران الربيعي، شمال الضباب، مكثفا فقد أحضر صالح والحوثي جيشاً وأسلحة ثقيلة ، وصواريخ كاتيوشا، وكانت دوما ما تحرق الأرض حول المقاومة.

المعركة تجري بشكل مستمر، وكانت (عزيزة) لا تنام، تتحرك مع المقاومة في كل الاتجاهات وتزور المواقع، وكأنها قائد عسكري من الطراز الأول وغالبا ما تتواصل مع قائد الجبهة الشمالية في الضباب العقيد (عبد الغني الحياني) الذي كانت ترى فيه قائدا محنكا وشجاعا .

ذات ليلة، عندما اشتد الهجوم، خطر في بالها أن ثغرة في المكان فارغة من المقاومة ، يمكن أن يلتف منها المهاجمون إلى خلف موقع المقاومة، ذهبت فوراً وسط المعركة لتقابل قائد الموقع الذي لم يتردد في مقابلتها، رغم جو المعركة الملتهب فهو يعلم من هي عزيزة !

قالت له وبلغة حاسمة: خلوا اثنين أو ثلاثة في (زغط) الأكمة .

ذهل قائد الموقع، فالثغرة فعلاً خطيرة، وكأنه أمام خبير عسكري !

اختار ثلاثة من أفراد الموقع، وأخبرهم بدورهم وأهمية الثغرة، وزودهم باللازم من المؤونة، وصدق حدس عزيزة فقد التف الحوثيون من نفس المكان وتم ضربهم وإفشال الهجوم.

ومع مرور الوقت، زادت قيمة وموقع (عزيزة) أو (الأفندم عزيزة) أكثر في نفوس أفراد الجيش والمقاومة، فهي تتحرك في كل الاتجاهات بطاقة مؤثرة وإخلاص عجيب!

استمرت (عزيزة) تعمل مثل النحلة لا تكل ولا تمل وبحنان وحرص لافت، فهي امرأة لا يعجبها الانكسار مهما كانت النتائج.

عندما حضرت إلى أحد مواقع المقاومة، وجدت المجموعة منكسرة ومهمومة كان أحد قادتهم قد استشهد، فأثر في نفسياتهم وبدا الانكسار واضحاً.

بمجرد أن رأتهم خبرَتهم بحس وحدس الأم، وروح القائد:

- حالكم ما اعجبنيش يا عيالي، موفي؟ مو بكم مفسرين ومهطبلين آذانكم؟ أنتم مقاومة اشتدوا.

- قال محمد و بصوت حزين: أخونا أحمد استشهد يا خالة.

- نزل الخبر عليها كالصاعقة، لكنها سرعان ما تمالكت نفسها أمامهم: أيوه شهيد الله يرحمه!

شوفوا يا عيالي.. أنتم عارفين أن الشهادة بكل ملوى ومخلف، إحنا النساء عندما يستشهد ابن وإلا زوج وإلا أخ، نزغرد.. إيه نزغرد وأنتم دارين!!

لم تكن عزيزة تتحدث من فراغ، فقد استشهد ثلاثة من أقربائها أحدهم ولد بنتها.

انصرفت وهي تغالب دموعها قائلة: تعلمنا منكم يا مقاومة، قوموا يا عيالي لو أنتم تحبوا أحمد، الله يرحمه، شدوا أنفسكم، وكبروا واستعدوا، وعمر الجبل ما يهزه ريح.

-قال محمد: كنا في المجموعة، وكأننا مربطين بسلاسل، فجاءت (عزيزة) تفك الرباط، وتنعشنا من جديد وتغسل الحزن، وتعطينا جرعة من الحماس والنشوة.

كان الفقي عبده دائما ما يقول: إن الحجة (عزيزة) أثرها بمائة مقاوم؛ لإخلاصها وقوة الروح والإصرار الذي لا يفتر لديها.

انصرفت عزيزة وهي تتظاهر بالتماسك، والحقيقة أنها تكاد تسقط، فهي حنونة وعطوفة.

ذهبت وهي تتمتم: حسبنا الله ونعم الوكيل، الله يوجع قلوبهم مثل ما أوجعوا قلوبنا، محاولة إخفاء دموعها التي تنسكب بغزارة على الشهيد أحمد الذي تعرفه جيدا، وهي التي دائما ما تحس بأنها فقدت فلذة كبدها كلما ارتقى شهيد.

شاع صيت عزيزة أو (الأفندم عزيزة) عند المقاومة، وأصبح وجودها مظهرا من مظاهر الأمان اليومي، هي بجانبهم كلما احتاجوها، وكلما حمي الوطيس تكون حاضرة في المواقع وخلفيات المتارس، كانت دائما ما تلح على قائد المجموعة لتدريبها على السلاح، وعندما أصرت؛ قال لها يا خالة (عزيزة): لو أعطيناك سلاحاً سنكسب مقاتلاً ، لكن سنخسرك ونخسر دورك، أنت الآن أفضل.. المقاتل سنجده لكن خالتنا عزيزة أين نجدها؟

كادت (عزيزة) أن تنهار من الحزن على غير العادة عندما وصلها خبر استشهاد قائد الجبهة العقيد)عبد الغني الحياني(، فقد حزنت عليه واعتبرت غيابه ضربة للمقاومة التي تسري في دمائها وتتحكم بعواطفها.

توالت المعارك، وزاد ضغط الهجوم على المنطقة، وكان قلة الذخيرة هي المشكلة المشتركة في كل الجبهات، ونقطة الضعف القاتلة.. وبعد معركة طويلة تقدم الحوثيون إلى قرية (عزيزة) بعد انسحاب المقاومة منها.

ولم ينسَ قائد الموقع أن يبلغ عزيزة بالخروج من القرية، فهي مطلوبة من الحوثيين مثل أي قائد في الجيش والمقاومة.

قائد مجموعة الحوثيين أخذ يتحدث: (عزيزة) هذه خبيثة، وتقوم بدور كتيبة.

كانوا منزعجين منها خاصة دورها في بث الحماس والتضييق على مصادر المعلومات، وشبكتهم التي حاولوا تشكيلها قبل قدوم المقاومة.

أثناء انسحاب المجموعة، بدأت (عزيزة) تتهيأ للخروج من القرية، وعند خروجها رأت أحد المقاومين وهو جريح ينزف، وبدون تردد عادت لإسعافه ،وعندما حاولت حمله، أطلق عليها مسلح حوثي الرصاص لتسقط بدمائها بجانب الجريح .

كانت القرية في هذه اللحظة خالية تقريبا من الرجال بعد انسحاب المقاومة.

لتسرع فتاتان بإسعاف (عزيزة) والجريح معا، ونجحتا في إسعافهما فعلاً ولم تكن هاتان الفتاتان سوى بنتي عزيزة نفسها.

في اليوم التالي جلس الجريح خالد على سريره بعد أن نجحت عملية الإسعاف ،ووقف نزيف الدم، لكنه هذه المرة ينزف دموعا ويبكي بمرارة !

لقد استشهدت عزيزة أم وأب المقاومة، و(الأفندم) والقائد ، وبقى الجريح خالد يغالب دموعه التي تتساقط كلما ذكرها حتى اليوم.

استشهدت عزيزة ؛ في ٢٧ أغسطس ٢٠١٥م ، اهتزت القرية والمنطقة، وقلوب قادة وأفراد الجيش والمقاومة الذين عرفوها ، فهم لا يتصورون غياب الأم و(الأفندم) عزيزة ، السند والروح والمراقب ، بكاها الجميع واعتبر قادةُ المقاومة غيابها خسارة محزنة.

وعندما حملوا جثمانها لتشييعها إلى مقبرة قريتها، رفض الحوثيون دفنها في القرية.

قال قائد المجموعة الحوثية وبتبجح: ممنوع؛ هذه داعشية كبيرة ارموها، لا قبر لها!

منعوا دفنها في مسقط رأسها، وهي عادة الطغاة مع الأبطال وكبار الثوار الذين يمنعون من الدفن في أوطانهم .

لم تتأخر الجنازة كثيرا، فكل قرى وقلوب جبل حبشي والضباب فتحت لروح عزيزة التي دفنت في قرية (ميلات) القريبة ، والمحزن أن استشهادها جاء بعد استشهاد العقيد (الحياني) بأربعة أيام فقط.

شيعها الناس رجالا ونساء، جيشا ومقاومة، وبدا الجو كئيبا على غير العادة في نظر أفراد الجيش والمقاومة الذين فقدوا أماً استثنائية ومقاومةً جسورة.

وظهر المكان والزمان يهمي حزنا، والطير والأشجار تبكي (عزيزة) المجاهدة الطاهرة، التي عرفها الجميع محسنَة ومضحية، محبة للناس ولقيم الحرية والكرامة.

ُشُيعت كزعيم وطني، لها في كل قلب مأتم.

بعضهم وصل متأخراً.. وأحدهم يسأل: هل دفنتم (الأفندم عزيزة) ؟

يتأمل الأستاذ عبد الرحيم ويقول: لا، لم ندفن (الأفندم عزيزة)، وإنما دفنا (الغمامة عزيزة)!!

قال الجريح وهو يبكي بحرقة : إيه والله (الغمامة عزيزة) ، هذا أصدق وصف يا أستاذ، بس كيف تدفن الغمامة ؟!!

أم في المعبر

ذات يوم خرجت (لول) مع الناس بنية المرور من المعبر.. وهي امرأة في الثلاثينات من عمرها، ولديها أطفال وتحتاج إلى حاجات ضرورية طماطم بطاطا ، أرز، بر.

لا نقود كافية لديها لكنها ستأخذ ما يكفي من البطاطا والطماطم والخضروات لبضعة أيام، أما الأرز والبر ـ وهذا المهم ـ فقد حول إليها أحد الجيران بـ (قطمة) من كل نوع على محل المواد الغذائية الذي يملكه، والواقع خارج مربع الحصار.

تجمع الناس حول المعبر.. ممنوع المرور.. كل يوم كان يجري التفتيش والإهانات والتأخير، ثم يسمح للبعض بالمرور، هذا اليوم كان ممنوعاً.

مر الوقت (ولول) مصرة على المرور، والعودة إلى أطفالها الصغار، فلا يوجد غيرها يهتم بأمرهم بعد أن فقدت أباهم جراء قذيفة مدفع سقطت على عربية البطاط الخاصة به في الشارع العام بمدينة تعز بداية اقتحام المدينة؛ حينها تمزق جسده أشلاء ومعه طفلة وأمها التي تشتري منه البطاط.

تتحدث (لول) مع نفسها بصوت عالٍ: كيف أرجع بدون غداء؟ مو أقول لعيالي؟ والله ما أرجع إلا بغداء لعيالي وإلا ميت.. وربي شتولى أمرهم وأمر الظالم.

البعض عادوا والآخرون انتظروا بعيدا، لكن (لول) كانت مصرة على المرور تحاورهم .. تترجى تتوسل، وتلح.. وأخيرا مرّتً وكأنها حققت معجزة .

لم تغب سوى ساعة أو أقل لتعود محملة بالبطاط والطماطم و(قطمة) أرز و(قطمة) بر، كانت منتشية وسعيدة وكأنها حصلت على الدنيا من أطرافها .. تستعجل الخطى إلى صغارها (هديل) و(محمد) و(جميل) .

اقتربت من نقطة المعبر، وقبل تجاوز النقطة سقطت على الأرض؛ تدحرج ماتحمله، وسالت دماء (لول) في الشارع، فقد قنصها من سمح لها بالمرور والعودة .. هكذا يتسلون بالإنسان ويستخدمونه كـ(نصَع) .

عنـدما سـقطت (لـول) مضـرجة بـدمائها شـوهدت وهـي تحـاول للمـة حاجاتها المبعثرة دون جدوى!

الأكثـر وحشـية أنهـم منعـوا إسـعافها، وعنـدما اتجـه شخصـان لإسـعافها ضرب عليهم الرصاص وجرح أحدهما .. كـان المشهد موحشا وحزينـا.. فإصابة (لول) ليست خطيرة ؛ لكنها تنزف، وكلما اقترب أحدهم منها ضرَبً عليـه النـار.. لقـد حكـم علـى (لـول) بـالموت هكـذا بـالمزاج، وهـذه قيمـة الإنسـان عنـد هـؤلاء المتوحشين!

وبعـد ثـلاث سـاعات تقريبـا، سمـح بـالاقتراب منهـا، أسـعفت إلى المستشـفى حاول الحاج (عبد الغني) أن يعرفً اسمها وعنوان بيتها، ليتواصل مع أسرتها، لكنها كانت في الرمق الأخير ولم يسمع منها سوى كلمات متقطعة: يـا ربـي.. بـدون غداء ..

أمانتكم عيالي . . أمانتكم عيـا ....

عندما وصلت المستشفى كانـت جثـة هامـدة، وكـان قلـب الحـاج (عبـد الغني) يتقطع من وجع الحزن، وصوتها يرن في أذنه: يا ربي.. بدون غداء.. أمانتكم عيالي..

وبدلا من عودة (لول) إلى صغارها بالطعام والحنان، عادت جثة إلى ثلاجة الموتى!!

هي قصص مكررة ومألوفة ، القنص عمـل يـومي ، مـلازم للحصـار، أحيانـا يقـنص أي متحـرك ؛ شـيخ.. امـرأة.. طفـل.. رجـل.. بقـرة.. قـط.. كـلب، عبـث بالأرواح بشكل لم يجرِ حتى في أشد العصور تخلفا وهمجية.

في الجانـب الآخـر (هـديل) سـبع سـنوات ، وأخواهـا (محمـد) خمـس سـنوات (وجميل) ثلاث سنوات ينتظرون أمهم التي خرجت صباحا ولم تعد .

الساعة الخامسة عصرا .. أخـرج الجـوع والقلـق (هـديل) وأخويها إلى بـاب البيـت ينتظرون أمهم، كأفراخ مفزوعة من المجهول.

مر عليهم جارهم (حمود) ، ورآهم خائفين .. هديل تحملق نحـو الطريـق كأنها تنتظر قادما طال انتظاره:

ـ مو تعملي يا (هديل) أنت وإخوانك؟ ـ نشارح أمي ما روحاش.

ـ وينه؟

ـ سرحه تندي لنا غداء .

ـ متى خرجت؟ ـ الصبح.

ينظر حمود إلى ساعته .. الساعة الخامسة عصراً :

- عجيبة وعادكم ما تغديتوش!

ـ لا.. نشارح أمي تعمل لنا غداء .

حمود وقد بدأ يقلق .. أحس بأن أمرا ما حدث .. فلا يمكن للأم (لول) الحريصة على ألا تتأخر كل هذا الوقت بدون سَبب ، فحاول أخذهم إلى بيته:

ـ هيا هيا يا (هديل) أنت وإخوانك معي البيت نتغدي لما ترجع أمك.

ـ لا.. شنشارح أمي.

ـ أنتم جياع؟ـ أيوه.

ـ طيب تعالوا نتغدى وشترجعوا يالله يا أبطال.

ـ لا.. شنشارح أمي.. أمي (شتغاري).. أمي شترجع الآن..

وعادت (هديل) تحملق في الطريق ، تمط عنقها تستمطر طيف أمها، ولا تدري المسكينة أن أمها خرجت ولن تعود!

صور من السقوط والهمجية في معابر الموت

اشتد الحصار وتعددت الإهانات في المعبر .. يتجمع الناس ساعات حتى يأذن مزاج القائمين بالسماح، بعد الضرب والشتم وأحيانا القتل.

عندما اعترضت إحدى النساء على المعاملة السيئة وهزأت المسلح، غضب عليها، وبأعصاب باردة سألها كم معك أولاد يا حجة؟

هي ظنت أنه بدأ يندم على الإساءات والتجريح، وظنت أن سؤاله عن الأولاد باب رحمة منه، قالت له مباشرة: سبعة.. معي سبعة أولاد.. الكبير بعمرك. لكن هذا لم يوقظ مشاعر الرجل أو يستجلب الرحمة إلى قلبه.. فقد تحرك ببرود وأطلق عليها سبع طلقات، بعدد الأولاد!

لا شيء أرخص من الإنسان في معابر الموت.

وبدأت المدينة تتناقل أخبار المعابر، وما يجري فيها بمزيد من القهر ليترسخ لدى الجميع أن هؤلاء ليسوا بشراً، وأن المقاومة هي أسلم الطرق وأشرفها.

في اليوم التالي مر بابور ماء .. ـ بوابير المياه ممنوع دخولها لكن بين حين وآخر يسمح لها بالدخول ـ عندما سمح المسلح المناوب لبابور الماء بالحركة صرخ أحد المتحوثين بالتوقف قائلاً: لحظة لحظة ليصعد ويتبول إلى خزان المياه بلا خجل أو مروءة، وعندما انتهى قال: هيا امشِ ما ذلحين!!

وتكررت الحادثة ذاتها على مرأى ومسمع من الجميع، الحادثة تناقلتها المدينة بنوع من المرارة.

قال الأستاذ أنور وهو يستمع إلى صاحب (الوايت) ويتأكد منه: هؤلاء ليسوا بشراً، لقد فاض الحقد على كل إنسان في المدينة وبأسلوب هابط لم يسبق له مثيل عندما أكمل الأستاذ أنور كلامه، كانت قذيفة تسقط وتخطف حياة أسرة كاملة غالبيتهم أطفال.

تنوعت صور التعذيب في معبر (الدحي) الذي ذكرهم بمعابر فلسطين وأخذوا يعددون الفارق للأسف !

مر تاجر الثلج ـ والثلج أصبح عملة صعبة بسبب وجود المصنع في المنطقة الخاضعة للحوثيين ـ أمره أن يجلس على قالب الثلج وإلا أطلق عليه النار ليصبح مخيراً بين الموت بالبرد أو الموت بالرصاص، وعندما تقدمت عجوز وهي تقول:

حرام عليكم شيموت من البرد!

خبط على مؤخرتها دون احترام لسنها أو لقيم الدين والأخلاق، وهي حركة تتكرر بحقارة.

في الآونة الأخيرة زادت الحركات الصبيانية التي ترُكت لمزاج القائمين على المعبر.

بعد ساعات انتظار يأتي أحد المسلحين ويسمح للبعض بالمرور وعند المرور ينادي أحدهم:

- تعال أنت.. ارجع، ارجع.
- ليش أنا؟!
- أنت لأنك حافي ما عندك شبشب.. هههههه

طوابير طويلة تنتظر السماح، ليأتي أحدهم بعد وقت طويل ويفرد رجليه ويقول: اللي يشتي يمر.. يمر من تحت رجلي، وعندما يرفض الناس يصعد فوق برميلين ويطلب منهم المرور من تحته وإلا أمانة ولا أحد جازع!

كان الناس في الغالب يفضلون البقاء ساعات أو العودة من حيث أتوا، وفي النهاية يأتي أحد الحوثيين ويتظاهر برفض هذا التصرف ويعنّف الفاعل الذي غالبا ما يكون متحوثاً ثم يخاطب مَن في المعبر: هذولا هم أصحابكم أصحاب تعز كنوع من النكاية والظهور بمظهر أفضل.

معمر أحد المتحوثين الذين يمنعون الناس ويتعنتونهم في معبر الدحي وبتوجيه من قائد النقطة ، لقد كان يبالغ بإيذاء الناس إلى درجة أن يتدخل القائد الحوثي لمطالبته بالتخفيف كحركة تظهرهم أنهم أكثر مروءة.

ذات يوم مرت على (معمر) فتاة ففتح لها على الفور على غير العادة، فأثار ذلك فضول زميله الحوثي فتبع الفتاة وأعادها بعنف.

حاول معمر التدخل فرفض، وأخذ يكيل السب للفتاة والمتحوث معمر معا ،ومعمر هذا متحوث من أبناء تعز.

- ما في بينكم يا سفلة؟

وأخذ يشد الفتاة ويسحبها بشدة ليتدخل معمر ويشتبكا بالأيدي ويستقبل ركلات من الحوثي ومسلح آخر.

عندما أخُذ (معمر) إلى قائد النقطة قال القائد مستغرباً: ما لك يا (معمر) كيف رجعت اليوم رحيم بالدواعش أيش في؟؟

لم يقل معمر شيئا، لكنه انفجر باكيا وبذُلٍ مرير، وأخذ يمسح دموعه كالحمل الوديع وهو يقول: لقَّد أهُنت وأهينتَ أختي أمامي، هذه آخرتها لقد خدمتكم بكل ما أملك.

لقد اكتشفوا أن الفتاة هي أخت (معمر) .

اقترب منه أحد المنتظرين بالمعبر وهمس له: الآن حسيت بالإهانة يا معمر! وتذكرت أن لك أختا وأسرة داخل المدينة؟! وأنت تهين الناس أمام نسائهم وتهين بنات الناس كل يوم! كان الأولى أن تحس بأن كل البنات أخواتك.

التفت إليه (معمر) بقهر ذليل وانكسار واضح ولم يجبه بشيء.. فقط طلب من زميله أن يولع له سيجارته.

المتحوث عبد الله التعزي

كان عبد الله الطويل رجلا متعاطفا مع عفاش والحوثي ويحُمّل المقاومة المسؤولية .

له نشاط غير عسكري في حارته ضد المقاومة، واستطاع بشكل ما أن يجُيّد الكثيرَ من أبناء الحارة في بداية المقاومة، وهو تحييد لصالح الحوثة .

و مع هذا يعيش آمنا مثله مثل الكثير من الذين يعيشون بأمان في مناطق المقاومة ما دام لم يحمل السلاح .

تضرر عبدالله من الحصار كغيره من السكان؛ فالحصار مثل القذائف لا تفرق .

نفد عنده الغاز المنزلي فرفض أن يشتريها بسعر غال من سوق التهريب ،وذهب بنفسه إلى الحوبان لجلب الغاز بعد أن اتفق مع أحد قادة المتحوثين من أبناء تعز للتسهيل له في المعبر .

عند العودة خضعت السيارة لتفتيش تعسفي إضافة إلى سب وشتم النساء ،صُدم عبدالله الطويل؛ فصورة الحوثيين عنده ـ كما يقال له ـ ناس دين وأخلاق ،وعندما زادت الإهانات قال عبد الله: يا أخ كلنا أنصار الله ومع أنصار الله، لكن هذه الأخلاق تجعلنا نعيد النظر، أنتم تشوهون اللجان والجيش، والصراحة هذه ليست أخلاق الإسلام، كان عبدالله يتحدث بحرقة بينما المسلح مستمر في رمي ما يجده مع الناس من بيض وطماط وأرز وسكر .

- وقف عند كرتون طماطم: حق من هذا؟ يقول المسلح
- إحدى النساء: هذا حقي وابني حقي .
- وأيش معك شركة يا حاجّة، هذا كثير، يسحبه ويرميه في الشارع، وزيادة في

النكاية يعيد ثلاث حبات طماط: وهذه لك مني، ويعطيها للمرأة التي رمت بها إلى الشارع وهي تقول: قوْ لك شنفعك، الله يحرق قلوبكن يا قادر يا كريم .

تحول التفتيش إلى خانة السيارة، وجدوا فيها ثلاث اسطوانات غاز:

- وهذ الغاز حق من ؟
- عبدالله الطويل: حقي أنا صاحبك .
- ها.. هو أنت المتفيصح علينا؟

اخرج يا صاحبنا اخرج، يخرج عبد الله محاولا إنقاذ الغاز الذي يحتاجه، يقترب من المسلح اسمع هذه حقي وحق فلان (أورد اسم قيادي متحوث).

- قال له المسلح : شوف ما حد يستطيع ينفعك إلا (السيد) والسيد يقول ممنوع، ثم يبدأ في فتح الغاز وتفريغه، يصحب ذلك شتم مقذع .

أظلمت الدنيا في وجه عبد الله وشعر بقهر ومهانة وندم، وانتابته نوبة غضب غير مسبوق، وبحركة سريعة وغير إرادية التقط جنبية من أحدهم وغرسها ببطن المسلح الذي كان ما زال يرغي بالشتائم .

و لم يتأخر زملاء المسلح الحوثي الذين وجهوا عدة طلقات إلى عبد الله وهو يصرخ مجرمين .

أسعف إلى المستشفى وتقاطر إليه أقاربه وأهل الحارة ومعهم الغضب والمرارة على عبدالله؛ فهو شخص محترم يحبه الناس ويحبهم .

و عندما حضر (حسن أحمد) أحد قيادات المتحوثين يخبر القائد الحوثي كيف خسرنا أسرة (عبد الله الطويل) بسبب تصرفات البعض، التفت إليه القائد (أبو علوه) وهو يقول:

اسمع يا (حسن) ، هم مش معانا مش معانا، اسمع أسالك سؤال يدور في رأسي جاوبني بصراحة: ليش أنتم أصحاب تعز عندما تكونوا معنا تكونوا سلبيين خوافين ولو أجبرتم على القتال معنا تفرون عند أول طلقة، وعندما تحاربون ضدنا تتحولون إلى وحوش ومحاربين شرسين، أنا أشهد لكم، بس ليش معنا تتحولوا إلى (كَسَب) ليش؟

- الناس يعتبرون أنفسهم يدافعون عن المدينة والصراحة...
- أيوه قل الصراحة يا حسن قل ؟
- الصراحة الحصار والقصف العشوائي عزز كلام المقاومة بأن الحرب على المدينة بدون استثناء، والحصار ما لوش مبرر، والقصف يجعلنا نخسر فلا نعرف

التحرك بين الناس؛ تصور أمس صاروخ ضرب أسرة كاملة من أصحابنا وقبلها قتل قيادي من أصحابنا أيضا وأنت تعرفه .

- بس قل ما فعلتم نحن نحاصر وأنتم تحرضون المدينة على المظاهرات قالوا أصحاب الزعيم خيرات وين هم؟ عليكم أن تستغلوا الحصار والقصف لتأليب الناس على المقاومة مش علينا، هم السبب أيش عملتوا ؟ أين المظاهرات؟

- احنا أرسلنا لكم مجموعة للمعابر والقتال.. نحن ما قصرنا.

- أيوه كم أرسلتم؟ كم بقى منهم؟ كم مستعدين للفرار؟ نحن الآن نحتاج لتحريك مظاهرات استغلوا الحالة والإغاثة لا تغالطوناش أيش عملتوا؟

- أمس أخرجنا مجموعة نزلت إلى الشارع مستغلة الإغاثة والتحريض على أن المقاومة تسرق الإغاثة بحسب أمركم لكن الناس ما تفاعلوا معهم بل على العكس نظروا إليه نظرة ارتياب، وزاد الأمر سوءا ظهور بعض أصحابنا المعروفين وهو ما جعلهم يخافون على أنفسهم .

- يعني ما فيش فائدة إلا الحصار والقصف، وكل المدينة هدف وعدو.. هذا الصدق خلاص انتهت المقابلة يا حسن .

و عندما تحرك حسن متجهما ناداه أبو عليوه: اجزع شل لك من أبو(رائد) مصروف.

تهلل وجه حسن وهو يقول شكرا سيدي حاضر سيدي؟

في المستشفى ورغم جراحه أخذ عبد الله الطويل يتحدث لأولاده وأخيه بصعوبة، أول كلمة له كانت سؤاله عن المقاومة!!

- أيش أخبار المقاومة؟

- أول مرة تتحدث عن المقاومة يا عبدالله أيش صرت مقاومة؟ يقول أخوه علي .

- نحن غلطنا يا علي، وكنا مغيبين.. الأصل نلتحق بالمقاومة من أول يوم مش جالسين نتفرج وننافق.. المقاومة هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الكرامة والوطن، والطرق الفردية وتدبير الحال هي مذلة وجبانة.. لو شفتم ما شفتوه في المعبر لعرفتم كم نحن بعيدون عن الصواب وجبناء.. ولو عشت سألتحق

بالمقاومة ولو مت أنتم مقاومة وسننتصر حتما.. يلتفت إلى أولاده الذين أشاروا له بالإيجاب؛ خاصة ونظرتهم إلى المقاومة إيجابية؛ لولا أنه حاول إبعادهم بحجة أن الجميع على غلط، ومالناش دخل .

نطق عبدالله الشهادتين وقبلها كان يردد: كلنا مقاومة.. كلنا مقاومة .

كانت أشبه بوصية واستدراك أيقظ الأسرة والأولاد ومعاريفه في الحارة..

من يومها بدأ الابن الأصغر يكتب على جدران الحي شعار (كلنا مقاومة) ،و بعد شهر كان أغلب الحي وأولاد عبدالله الطويل)مقاومة(ويرفعون الشعار الأبرز في تعز (كلنا مقاومة).

طريق الحمير

أصبح الحصار هو السلاح الأهم الذي يعُوَّل عليه لكسر مدينة تعز، بعد يأسهم من اقتحامها عسكريا.. كل طرق السيارات مسدودة، حتى الطريق الترابية التي كانت غير معروفة أغلَقت.

بعد مرور ثلاث مدرعات قادمة من عدن للمقاومة، تم تكليف مجاميع بالاقتراب إلى شرقي صبر ونصب أسلحة ثقيلة تمهيدا لاكتساح المنطقة، وبعد خمسة أيام قدُم تقرير عن الحصار.. فوجئ القائد الحَوثي (أبو عريج) بالتقرير يتحدث عن وصول مواد وتسرب بضاعة إلى المدينة.. وأن الحصار لم يؤتِ ثماره. جُن جنونه، فقد كان ينتظر كلاما سارا عن نجاح الحصار وانتفاضة الناس ضد المقاومة.

- وبدأ يرغي: ما هو هذا يا (أبو أكرم)؟ قد سدينا كل الخُزقَ.. من وين تدخل البضاعة للدواعش ؟ أكيد في خيانة وتلاعب وتهريب.

- أبو سليم: يا سيدي البضاعة تنقل عن طريق (الحمير) من شرقي صبر.

- قبح الله الحمير حتى (الحمير) صارت دواعش.. اسمعوا اشتي منع طريق الحمير .

- كيف نمنعها؟

- كيف؟ امنعوها من الوصول.. الحمير تطلع أمامكم في شرق صبر اضربوها نار.. وليش أعطيناكم مدافع وصواريخ ؟! الآن الحمار أصبح (عقبة) مثل أي مقاتل داعشي وأخطر.. اضربوها ولقطوا كل الحمير وجمعوها.. احجزوها في مكان.

- إلى أين يا سيدي؟

إلى أين ؟..إلى جنب إخوانهم الدواعش.. مدينة الصالح.. هههه

- احجزوها في حديقة الحيوانات (يقول أبو سليم) .

- أبو عريج : وُهيه.. تمام.. في حديقة الحيوانات ولا تخلوا حمار.. .حتى الحمير تتحدانا.. والله عجبه!

الأوامر بالهجوم على الحمير لم تعد مزحة فهي تساهم بشكل أساسي في إفراغ قرار الحصار وإفشاله.

عندما صعدت مجموعة من الحمير إلى شرق صبر لتتجه إلى المدينة محملة بالحاجات الضرورية والخضروات، تم ضربها بالرشاشات وحتى دانات المدافع لتسقط مجموعة من الحمير ضحايا القصف، صاحبتها حملةٌ لمطاردة (الحمير) واحتجازها، وفعلا تم تجميع ما يقرب من ثلاثين حماراً إلى حديقة الحيوانات بتعز بتهمة إفشال الحصار و(الدعششة) !

الأستاذ (عارف) وهو مدرس تاريخ يعلق: هذه أول تهمة في التاريخ على (الحمير)، وعلى هذا النحو، وأول اغتيال واعتقال سياسي لحمير؛ فلم يقم به أحد من قبل كما قامت به جماعة (الحوثي وصالح) !!

هم لا يعرفون أن إرادة الإنسان عندما تنهض وروحه عندما يتوهج دفاعا عن الأرض والكرامة، يحارب معه الحيوان والشجر والحجر ومناقر العقاب.

أحمد صالح صاحب نكتة يمر على صاحبه مهيوب الذي فقد حماره بالقصف ،يعزيه: عظم الله أجرك يا مهيوب، معك حمار أحسن من بعض الناس ويلتفت إلى جهة بيت (شمسان) .

مبروك يا مهيوب لأنك معك حمار قاوم الظالمين وساعد الناس وصنع المعروف .. الحمير هذين مُسخّرات من الله .. مش مثل باقي (الحمير) البشرية .. أيوه ..واا مهيوب .. حمارك مثل (حمار عُزير) و (كلب أهل الكهف) .. سُعيدك مدري مشتدخلش الجنة بسببه.. أما أنت الله يعلم كيفك!.

يخرج (شمسان) من بيته، وشمسان هذا (متحوث) أعلن مؤخرا أنه محايد.

قال (شمسان) معترضا: استِغفر الله يا أحمد صالح، مو شتدخل الحمار الجنة .. كثرتم به.. ذلحين الجنة حَقك.. حتى اللي يقُتلوا معكم الله يعلم كيف حالهم سكّهْني.

- منو هذا؟ شمسان.. ارحب ارحب.. ما أنت شحلف يمين إن (حمار) مهيوب أفضل منك بألف درجة، على الأقل معها موقف وأنت ما معك إلا الهواء المطلي ..هي قتلت بتهمة مساعدة الناس وإغاثة الأطفال والنساء المحاصرين، وأنت

تتشفى بهم وتتحالي .. أسألك بالله أيوُه أفضل .. كما ربي عادل مش مثلك ووا شمسان.

- هيا اخرط لك اخرط يا أحمد صالح.

- الحجة آمنة من أمام بيتها: خَبَر أحمد صالح صدق.. والله صدقهُ.. يخُبّر بحق الله.. الله يسترك وأحمد صالح.

- أحمد صالح: مالك منه هذا يا خالة (آمنة) الله قا حرَمُه من الجنة.

- شمسان: كيف؟؟ أحرمنا من الجنة! مو حق أمك.

- أحمد صالح: مش أنا اللي قلتُ.. الله هو اللي قال إن الجنة محرمة عليك.

- شمسان: كيف يا أحمد صالح! قا أنت نبي؟

- أحمد صالح: ليش ما تقرأش القرآن ، اقرأ وشوف مو يقول الله.

- شمسان: مو يقول يا عِرّيف؟

- أحمد صالح: يقول الله وهو يخبر عن الجنة:)لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا..(وشمسان أنت.. .؟ وزوجتك زمهرير الجنية.. اللي قِلت العام إنك تزوجته.. وتزيد عليك.

- تضحك آمنة حتى تكاد تقع على الأرض وتقول: والله اللي يقوله أحمد صالح أنِي سمعته من الحاج أحمد وهو يصلي.

يغضب شمسان ويتوعد بشكوى صالح وآمنة عند شيخ القرية.. ويدخل بيته.

- أحمد صالح: ادخل.. لو معك عقل مشتقِفْش مع اللي قتلوا أهلك ودمروا بيت ابن عمك باطل.

- يمسخ الله حبال واا أحمد صالح.. بس قا حقه معه، (تقول آمنة وهي تهم بحلب البقرة المربوطة بجانب البيت).

- بينما يتحرك أحمد صالح نحو المسجد لصلاة الظهر (ومزيدا من تطفيش شمسان) يصيح ووا شمسان.. باكر شنروح نتظاهر لإخراج الحمير الأبطال من معتقلات أصحابك الله يخزيكم.. اشتجئ معنا؟ والله إنك شتكَّفِّر عن ذنوبك.

- آمنة: بس خلاص يا أحمد صالح يكفي امش صلي.

- والله مهما عملوا إننا شننتصر يا خالة آمنة.. الله معنا.. نحنا أصحاب حق ..يقتلوا اللي يقدروا أطفال ونساء وشباب.. يفجروا، وذلحين يخافوا من الحمير ويسجنوها ويحرقوا الأرض.. والله إن تعز شتنتصر واليمن شتنتصر عليهم، وإذا قدروا يطفوا شمس ربي شطفوا تعز وشكسروا اليمن.

أصبح تعامل الحوثة وجماعة صالح مع الحمير محل تندر، بينما بدأت الحمير تكسب شعبية في مواجهة الحصار، ولم تفلح حملة تصفية واعتقال الحمير. تمرُّ الشهور والمقاومة تزداد صلابة وعمقا وقوة، والمليشيات في موقع المرتبك ،ومن النادر أن يتحول المحاصر إلى مخنوق والمهاجم إلى مدافع خائف من شراسة المدافعين.

طيلة فترة الحصار والمدينة تعج بالحركة والوقفات الاحتجاجية والندوات والمهرجانات المقاومة والمؤتمرات الحقوقية.. كل شيء يقاوم وكل يوم يزداد الشارع صلابة.

القائد الحوثي (أبو عريج) يستمع للتقرير الأخير.. هو يعرف سير المعارك اليومية جيدا، لكنه كان يتلهف إلى الاستماع لتقرير الحصار ونتائجه.. لكن هذه المرة جاء أسوأ بالنسبة إليه.

قال أبو أكرم وهو يقرأ ملخص التقرير: إن المدينة كأنها تروضت وبدا أن البضائع تتسرب إلى المدينة بطريقة منتظمة.. صحيح أن أسعارها أغلى لكنها متدفقة بصورة ما.

مسك أبو عريج على رأسه كمن صدعته تعز وهو يقول: مه.. يعني في جن يدخلوا البضاعة.. قال متدفقة.. ما هو؟ يعني في خونة يسربون البضاعة بفلوس.

- أبو سالم: لا لا يا سيدي البضاعة تدفق من جهة التربة والمسراخ وتمر عبر جبل (طالوق).

- ومن متى طريق طالوق ؟ كل طرق السيارات قلتم مقطوعة من أين جاءت طريق (طالوق) هذه؟

- طريق طالوق عبر جبل صعب، ولا يوجد فيه طريق سيارات والبضاعة تنقل على الحمير والجمال والأفراد، لكن الحمير هي الوسيلة الأولى، وهناك عدد

ضخم جدا من الحمير، فبعض الأفراد اشترى أكثر من عشرين حمارا، و في أسفل نقيل طالوَق يوجد سوق مزدحم بعدما كان مكانا للقرود و الغربان.. لقد ازدهرت هناك تجارة حقيقية على طريق الحمير.

- أبو عريج: الحمير مرة ثاني.. يعني حملة إعدام وحجز الحمير لم تنفع ..منعناهم من الشرق جاؤوا من الغرب.. هذا مش معقول مش معقول.. نجحنا في منع طرق السيارات وسدينا كل منفذ وفشلنا أمام (طريق الحمير).

أطرق يفكر قليلا ثم رفع رأسه: خلاص يا (أبو سالم) ويا (أبو حسن) ، لا بد من تجهيز حملة لاقتحام المسراخ من جهة الأقروض بالتعاون مع أصحابنا.. معنا هناك رجال من «أنصار الله» شجعان أفضل من أي منطقة.

- صادق متحوث مقرب من أبو عريج: وين كتائب أنصار الله؟ خلصت؟

- اسكت يا (صادق) أنت لا تتكلم.

- أبو حسن: لكن يا سيدي يا أبو عريج، ذهابنا إلى المسراخ ليس ضرورياً ولا يوجد فيها هدف.

- إلا في هدف وهدف استراتيجي كمان؛ وهو قطع (طريق الحمير) في طالوق وقطع خط أسفل النجد.. نقطع عليهم آخر شريان، والمنتصر من يصبر.. الحمير أفشلت علينا الحصار.

- صادق يهتف محاولاً مجاملة أبو عريج: (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل ،الموت للحمير!!).

- أبو عريج غاضباً: احبسوا هذا الأهبل، (الحمير) حق الدواعش انفع منكم.

في هذه المرحلة علتْ سُمعة الحمير، وبرز دورها في مواجهة الحصار وعندما سقط (حمار) في طريق طالوق من شدة الإعياء تناقلت صورته وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي شرقا وغربا! وتنوعت التعليقات المشيدة بالحمار والساخرة من خصومه، كما بدأ البعض بكَتابة قصائد شعرية عن الحمار ودوره والمقارنة الساخرة بينه وبين البعض، وتم تكريم الحمار بوقفة شبابية واحتفائية خاصة في أحد شوارع المدينة.

- أبو عريج يؤكد غاضبا: المهم جهزوا لاقتحام (طريق الحمير) في طالوق ،وبعدها صَفوا كل حمار.. اقتلًوا وفتشوا كل مكان، ولا تخلوا حمار.. هذولا دبور!

(إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير) ، هذولا منظرهم و أصواتهم وأهلهم منكر ونكير.

ينهي القائد الحوثي الاجتماع ويخرج متوتراً..

عندما خرج من بوابة محل الاجتماع اعترضهم (حمار) لأحد بائعي بضاعة الثياب المتنقلة، وبمجرد رؤية الحمار صاح (أبو عريج) مثل الملسوع:

وقف.. وقف.. وقف، أعوذ بالله والدبور.

نزل من السيارة وتوجه بهستيريا ليرش الحمار بقرن رصاص من بندقيته ويصعد وهو يتعرق.. هه.. أعوذ بالله.. اخطى.. اخطى.

لم يجد الناس تفسيرا لهذا الموقف؛ فسَرَت شائعة تقول إنّ انتحاريا حاول تفجير سيارة أبو عريج من ظهر حمار.. لم يعلموا أن الرجل أصبح يرى الحَمير كابوساً وشؤماً وعلامةَ هزيمة.

لكن الفقي إسماعيل يؤكد أن فزع الجماعة من (الحمير) مرتبط بحسبة لديهم في الكتب القديمة، وحساب المنجمين، وملخصها)تنتفشون وتهيجون وتفتح أمامكم المدن وتنقاد الجيوش، حتى يقف أمامكم قوم عزل معهم تحاربكم (الرباح)، وتفزعكم الحمير والإبل، وحينها يحل بكم الهلاك فيتحول بعضكم إلى (ركام) والبعض يمسخون (المسخة الثانية).

- أيش المسخة الثانية يا فقي إسماعيل؟

- يبتسم الفقي ويستوي في جلسته وهو يقول: المسخة الأولى هي مسخ اليهود إلى رباح (قردة)، عندما حرفوا التوراة وادّعوا أنهم أبناء الله والشعب المختار والبشر عبيد لهم.

و(المسخة الثانية) بحسب الرواي في آخر الزمان يمسخ قوم إلى (بغال وحمير) ،بعدما يدعون دعوة اليهود بأنهم المصطَفَوْن الأخيار و(أسياد) على الناس وحكام بـ(بصيرة) من السماء.. هههههه

وإلا ما تفسير ما يجري؟ هؤلاء يقتلوننا وأنفسهم بدافع الاستعلاء المقيت والخرافة السوداء.

ثلاثة أيام غيرت وجه تعز

اليوم الجمعة ١١ مارس ٢٠١٦م ، المقاومة داخل اللواء ٣٥ في المطار غرب تعز ..منظر كان مستحيلا عند الحوثة والمراقبين الذين لا يعلمون أن إرادة المقاومة تكسر المستحيلات .

هذا اللواء الذي عين فيه الانقلاب (أبو علي الحاكم) قائدا له مؤخرا بهدف إخضاع تعز.

(أبو علي الحاكم) الشخصية العسكرية الحوثية المثيرة للجدل، والذي نسجت حوله أساطير الرجل الذي لا يقهر والذي كسر عمران واقتحم صنعاء والمدن اليمنية بجولة واحدة.

لقد كُسر في تعز ولم يحس به أحد، ولم يترك أثرا سوى ضرب المدينة بالأسلحة الثقيلة وقتل النساء والأطفال والحصار السيئ، أوَ التصوير مع عبده الجَنَدي وبعض الخارجين على القانون في مناطق خارج المدينة.

قبل ثلاثة أشهر استقُدِم عبد الله ضبعان لقيادة المعارك إلى جانب أبو علي الحاكم وتأكيدا على فشل الأخير.

وضبعان هو الآخر)سوبر مان(علي عفاش، والرجل الذي قتل المدينة في ٢٠١١م كان (ضبعان) يظن أنه قادر على تجنيد أبناء تعز لخبرته بالمنطقة وعلاقته مع أتباع علي صالح، ومنذ أشهر وضبعان والحاكم يضاربون طواحين رياح تعز ليكسروها من أطرافها، فتقدموا نحو الأرياف فكسرتهم الأرياف بصورة مذهلة وكُسروا في المدينة حيث عجزوا عن التقدم خطوة واحدة منذ ثمانية أشهر من الهجوم والحصار.

حصل (ضبعان) على صفعة يستحقها وهو يكثف اتصالاته ويوزع المال لبعض من يظنهم وجهاء، ويرمي (بزيه العسكري) و (مشدة القبيلي)، ويكسر خفاق جنبيته وصلة لتجنيد مجاميع من أبناء تعز، حيث أخبره صالح بتطبيق حكمة (ما يفل الحديد إلا الحديد) بعد أن أقنعته تعز الحالة بوجهها الآخر وبأنها كانت كريمة ولم تكن ضعيفة يوما أو جبانة.

وهي المهمة الرسمية التي انتدب لها ضبعان لتحويلها إلى حرب أهلية؛ فأعطاه أبناء تعز درسا يفوق الإهانة، ليعلقه على صدره (عاراً) أبد الدهر.

لقد انحاز أبناء تعز مع أهلهم ورفضوا قتل إخوانهم، وحتى أولئك الذين انضموا يوما إليهم رموا بالسلاح في اللحظة الحرجة وأخرجوا لضبعان والحاكم ومن معهم ألسنتهم، وبعضهم زاد برفع اصبعه الوسطى في وجه القتلة.. . مرددين بسخرية (على غيري) ؟

قبل يومين فقط بدأ هجوم المقاومة المنظم والمرتب على الجبهة الغربية لفتح الحصار عن تعز؛ حيث كان الحوثي وصالح يفرضان أقذر حصار عرفه تاريخ المدينة بهمجية لن تنسى، وصور من إهانات النساء والمدنيين يندى لها الجبين ،أغاظت كل أبناء المدينة، وبضربة خاطفة بعد إعداد محكم وتوحيد حركة الجيش وفصائل المقاومة طهر المقاومون أهم المواقع الاستراتيجية: تبة الخوعة وتبة الإريال، وقبل أن يحفر المقاومون خنادقهم هجم الحوثيون بشراسة لاسترداد المواقع التي فقدوها، وفي هجوم وصلوا إلى تبة الإريال وقرب الخوعة، كانت صدمة امتصها المقاومون سريعا ببسالة ليعاودوها بعد ساعة واحدة من دخولها .

(إدريس) أحد الشباب الذين شاركوا في استعادة الموقع المهم تبة (الإريال) قال لقائده بهدوء الواثق: تلك بيتي يا أستاذ؛ عندما أستشهد خذوني إلى هناك. . المهم ألا تتركوا القتلة يطلع عليهم الفجر في)التبة (، ولم يتأخر.. لقد تحررت التبة قبل الفجر واستشهد إدريس عليه الرحمة وله ولإخوانه الخلود.

كان الحوثيون يهدفون من هجومهم ـ إلى جانب استعادة الموقع ـ إلى أخذ جثتين لقناديل، لكنهم دحروا وتركوا ثمان جثث في الهجوم الثاني، ولا أدري هل يوجد بينهم قناديل ؟

صباحا لم يعلم الناس بهجوم الحوثيين ولا وصولهم إلى تبة الإريال والخوعة؛ رغم أن الحوثيين والمتحوثين كانوا قد كتبوا عن استرداد المواقع ليلا في ضحى يوم الخميس لم تترك المقاومة لجماعة ضبعان والحاكم فرصة لأخذ الأنفاس ؛ فهجموا من محور الجامعة الصقر ومحور الحصب الزنقل بير باشا

وكانت النتائج مبهرة بقدر حماس الشباب الذي يحمل قهرا لا يطاق، بسبب الحصار وإهانة أحرار وحرائر تعز؛ فوصلوا إلى تبة الزنقل الاستراتيجية مرورا بالشيباني ومواقع مهمة، وإلى أسوار الجامعة.

ليلا كان الحوثيون يعدون المدرعات والدبابات والأطقم والمجاميع لاستعادة تبة الزنقل تحديدا، وأحد منتسبي الحرس الجمهوري يكتب على صفحته نداء عاجلا: عليكم الليلة استعادة تبة الزنقل، ولو لم تستعيدوها فإن الهدف التالي هو الدفاع الجوي واللواء ٣٥ ، كان يستفز أصحابه لكنه لم يكن يظن السقوط بهذه السرعة.

كان الحوثة والمتحوثون وأتباع صالح قد بدأوا يكتبون عن انسحابات جيشهم والدفاع الجوي، مطالبين بعدم الانسحاب، وهي وسيلة بائسة لتغطية الهزيمة ،لكنهم عادوا ليلة الجمعة بالتبشير بإعادة تبة الزنقل وتبة قاسم وكل المواقع التي فقدوها، ويؤكدون: يا فرحة ما تمت)للمرتزقة(ويعنون المقاومة .

كان هناك فعلا هجوم مكثف على تبة الزنقل مع ضرب كبير بالأسلحة الثقيلة على تبة الزنقل المكشوفة.. نزل الشباب فعلا من التبة وتقدمت حشودهم وهذا ما أغراهم لكتابة الانتصارات على طريقة دخول نجران وعسير.

في صباح الجمعة كانت الجثث متناثرة حول المواقع، بينما تجاوز شباب المقاومة تبة الزنقل نحو بير باشا وفي جهة الجامعة المحاصرة من جهة الدحي ،والنازلون من صبر يتجهون نحو الجامعة.

كان الأمل أن يصل المقاومون لتطهير الجامعة وتأمين الزنقل، لكن إرادتهم كانت أقوى وقهرهم على نساء المدينة وأطفالها كان حاضرا، ودعوات المظلومين كانت ساهرة ليتنزل تأييد الله، فيَصِل المقاومون إلى الصقر وما وراء الصقر من الجامعة وبير باشا ثم اللواء ٣٥ ، وكانت الانهيارات مصاحبة القتلة، والفرار سيد الموقف.

دخلت المقاومة وشبابها معسكر اللواء ٣٥ بقيادة القائد عبده حمود الصغير الذي قاد الجبهة الغربية ، والذي قاد مقاومة تعز التي استنفرت لفك الحصار.

عصرا أعلن الصغير توجهه نحو الضباب ليلتحم بقواته مع مقاومة الضباب ويلتقي بقائد المقاومة حمود سعيد وقادة المقاومة المتواجدين هناك.. عصرا كانت المقاومة قد تجاوزت السجن المركزي وصولا إلى حدائق الصالح آخر معقل للحوثيين من جهة الغرب، واتجهوا لمعالجة الألغام.

في الضفة الأخرى يتجه الجيش الوطني والمقاومة الشعبية ليتحقق الالتحام ،ولم يعد بينهم حاجز سوى الألغام التي تحتاج إلى معالجة ونزع لتتم مرحلة نصر مفصلية .

في الوقت ذاته كان الجيش الوطني والمقاومة في المسراخ يطهرون آخر المواقع في حصن ورقة والمطالي .. نصر بمثابة هدية من السماء بكت له نساء تعز فرحا وخرجت تزغرد في الشوارع وفي مشارف البيوت في بير باشا استقبالا للمقاومة واحتفاء بالنصر.

بعد المغرب كان الحسين بن علي أحد قادة المقاومة على قناة اليمن يبشر بالتحام جبهتي الضباب بمقاومة المدينة، مؤكدا على أهمية الوحدة التي تجلت اليوم بأبهى صورها.

المفارقة أنه وفي مثل هذه الأيام من العام السابق قدم الحوثيون مسنودين بمعسكرات صالح إلى الأمن المركزي وخرجت المظاهرات السلمية الرافضة حينها ليوجه إليها الرصاص فيُقتل العزل أمام الأمن المركزي وفي مديرية التربة، ليترك أبناء المحافظة الورد المسالم ويحملوا السلاح لمواجهة قوم لا يفهمون سوى لغة القوة انتصار الجبهة الغربية وفك الحصار عنها ليس آخر الانتصارات؛ فهي مرحلة من مراحل ملاحم تعز التي تحفر النصر على جبهة الزمن وترسم البطولات بدماء أبنائها على عين الشمس.. مرحلة نصر مهمة لتبدأ تعز الاستعداد للمعركة الكبرى لتحرير تعز على طريق تحرير اليمن الحبيب.

جبل(الراهش) و (الطهوش) المقهورة

أصبح اسم جبل(الراهش) يتردد في قصة الصمود، حيث مثل رعبا ضاربا لجحافل الحوثي وصالح التي غزت مؤخرا المسراخ وبعض مناطق المعافر وجبل حبشي.

أتركم مع مقال كتبته عن(الراهش) في صحيفة الجمهورية قبل سنوات، أرَسلهَ إليّ اليومَ أحدُ الأعزاء ليثير في نفسي شجونا وصورا ومشاعر متداخلة ومتعددة الألوان كقوس قزح.

مقال ربما يعطي ملمحا عن جبل(الراهش) الذي يقف فردا بين الجبال بشموخه، خالٍ من السكان لكنه يرتبط بعلاقه حميمية مع أهله وجيرانه على سفوحه وجنباته من الرعاة والمزارعين، ومع المقاومين الذي يحملهم اليوم على رأسه الشامخ، ومع الشهداء من أبنائه الذين مضوا شهداء في جبهات تعز دفاعا عن اليمن ابتداء من الشهيد)محمد الصهيبي(؛ أول شهداء المقاومة وعميدهم ،إلى الشهيد)ياسين عبده غالب (؛ ومازالت فاتورة التضحية مفتوحة نحو بوابة المجد والحرية.. هؤلاء الشهداء الذين تربوا في جناحي الراهش الجنوبي (الجبزية) والشمالي (الكلائبة) والذي حن عليهم حنين العيس المفارق، وسيبقى يفاخر بهم الزمنَ الدوار والأيامَ المتتابعة .

أتركم مع المقال في الصفحة التالية:

الاكتفاء الذاتي ودورة الزمان

كانت ليلة صيفية ممطرة متوشحة بالسواد وأصوات طير العقاب ووشوشات الزرع في المدرجات والشعاب.. كان بيتنا الذي تحيط به مدرجاتنا الخاصة على سفح الجبل وحده هو أقرب إلى «حيد الطاهش» وكهوف السباع وكانت أمي هي قائدة الدار والمزارع.. كان أبي - رحمهما الله جميعا - مغتربا في جيبوتي معظم الوقت.. في تلك الليلة كان موجودا، لا أذكر متى جاءً إلينا.. بعَد العشاء كنت أنا وأمي في الشِعب وبالذات في «رجحَة» الهند وهي الأفضل، كانت أمي كعادتها لا تبيت إلا عندما تتأكد من أن «الرباح» قد انصرفوا.. يعجبها أن تتجول في المزارع كقائد عسكري يؤمّن جنوده.

فجأة ارتطم كاشف الضوء « الاتريك » الذي بيد أمي بعينيْ «الطاهش» كانت هناك فكرة أن الطاهش يتسمر بالضوء ولذلك ظلت «أمي» ممسكة بالضوء تجاه عينَي «الضبع».. كنت بجانبها طفلاً يريد أن يمثل دور الرجل الشجاع لكنني فعلاً لم أخف لأنني كنت بجانب أمي وأشعر أنها قوة الدنيا وحضن الأمان والتي لم أرَ منها خوفاً؛ بل أخذت تقول لي بثقة موجهة لي أمر القائد الأعلى: لا تفتجعش «أنت رجال.. احري ادعي لأبوك وأني شاجلس أوقف الضوء على عين الطاهش حتى توصلوا! كانت تعتقد لو أفلتت الضوء ربما يفترسنا.. مهمة صعبة لأول مرة شعرت بأهمية استثنائية ولم أتردد.. انطلقت كالصاروخ لأنادي أبي بكلمات يفهم منها أن أمي والطاهش في الشِعب.. ورجعت مباشرة.

كنت جنديا نبيلاً ولا أدري كيف حدث ذلك.. لحظات وأنا بجانب أمي الصامدة وبقيت ممتناً لنَفسي من هذا الموقف.. كان «السبع» مازال محملقا بعينيه الملتهبتين تجاه الضوء.. حضر أبي على الفور وانقطع شريط الذكريات لمً أذكر التفاصيل بعدها، لكنني فهمت أن أبي وأمي كانا يقولان لي بأني حَنِك»، الكلمة أعجبتني كثيراًومن حينها حاولت أن أكون «حنك» منطلقا من هذا المشهد الرهيب الذي سجلته الذاكرة جيدا كما سجلت لحظات وصورا سَريعة للشعب و«المردع» والطاهش ،لأمي وأبي حتىً النسيم في تلك الليلة مازلتً

أشعر بهبوبه، والانتصار الذي حققته الأسرة كاملة على «الطاهش» الذي بقي يحوم حول بيتنا مدة طويلة.

لقد كان بيتنا ومزارعنا الواسعة كأنها «قارة» كاملة، كنا نكتفي ذاتيا، كل شيء تقريبا، والماء من «البير» الخاص بنا، و«مقالد» الصيف، الحطب الدجّاج ،الكسب والغَنم الحليب والبقرة والحمار.. مملكة متكاملة مكتفية ذاتيا لا تخاف من انقطاع الدقيق ولا الغاز ولا الكهرباء ولا الوقود ولا الماء، كل ما كأن يشغل أمي هو «المطر».. إذا جاء حُلت كل المشاكل، ومن المطر والأرض يأتي كل خيرنا ،بيدنا مملكة متكاملة كنت اتحرك فيها بحب وحرية وأمان واكتفاء ذاتي.

وحده كان بيتنا على طريق «السباع» في جبل «الراهش» الجبل الأسود المشترك بين عزلتي الكلائبة والجبزية في مديرية المعافر، وهو الوحيد الخالي من السكان والأصعب والأكبر، في قمته حصن كبير اسمه «حصن الكافر» وآثار لحياة وملك وسدود مازالت آثارها حتى الآن.. الجبل اسمه في التاريخ «برك الغماد» كما ورد في كتب التاريخ ومعجم البلدان، وهو الجبل الذي ذكر في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، قالوا في صفته بأنه جبل أسود طويل يطل على «السواء» وهو وصف لا ينطبق إلا على جبل الراهش، مع أن الإخوة في منطقة السواء يطلقون على جبلٍ عندهم هذا الاسم «برج الغماد» وهو يخالف الوصف التاريخي وأنا هنا أدعو المهتمين بالآثار إلى صعوده والاطلاع على ما تبقى قبل أن تمحى، مع العلم أن الجبل صعب و«عسر» جدا ولا تسكنه إلا «القرود» و«الضباع» ويختلف عن كل الجبال المحيطة.. كانت «النمَور» «والذئاب» و«الظباء» تسكنه إلى منتصف القرن الماضي ،والغريب أن أحد الإخوة أكد لي أن «ذئبا» قد ظهر هذا العام في الجبل وأصبح يطارد الغنم واصطاد بعضها، وهي ـ ربما ـ إشارَة غريبة إلى دورة جديدة للزمان .

لن نقبرك يا صغيري

(لا تقبروناش .. لا تقبروناش) هذه توسلات طفل من تعز قبل أن يلفظ أنفاسه بعد إصابته بقذيفة هاون.. عبارة لم يسبق أن سمعنا مثلها من صغير أو كبير..

هي صرخة مدوية ووصية ذات دلالات معبرة عن حالة الموت المخيم في المدينة ،والظلم الواقد بغطرسة وعنجهية أفظع من الموت .

لن نقبرك أيها الصغير كن واثقا من ذلك...

اطمئن أيها الروح المعبرة عن المدينة فتعز لن تقبرك.. لقد ولى زمن تدفن فيه أطفالها وشرفها على هذا النحو الذليل.

اطمئن فأنت في مدينة قدمت كل شيء لتعيد فلسفة الحياة والموت على مقياس الكرامة لا على مساحة الزمن الميت.

سينفذون وصيتك بالحرف لأنهم لولم يفعلوا لتحولت الوصية إلى لعنة تصيبهم أبد الدهر، وسيُدفنون أحياء ولن يخرجوا من القبر أبدا.. انتبهوا.

كان عبدالله المحامي يتوسل إلى المتحدث أن يسكت عن رواية قصة الطفل (فريد) فهو لم يعد يحتمل سماعها..

أما الأمهات فقد انتابهن نحيب لا يتوقف خوفا من القبر المفتوح لأطفالهن في الشارع وغرف النوم وأحضان الأمهات.

عندما تطلق قذيفة صاروخ من أطراف المدينة ـ وهي حالة متكررة كل ليلة ـ تمر على مساحة طويلة من المدينة فوق الرؤوس والبيوت ويكون لها صوت وصفير مخيف.. هو صوت موت نهايته القبر.. هكذا يفهمها الأطفال.. والطفل (فريد) شأنه شأن كل أطفال المدينة.. كان يشاهد قبره الموحش كل لحظة..

شاهده في ابن عمه أحمد، الذي دفن أمامه بعد أن أصيب بطلقة قناص ،وشاهده في سمية بنت خالته ورفيقته في اللعب وهي تدفن أمامه، وفي التسعة الأطفال أبناء حارته الذين مزقهم صاروخ ودفنوا نتفا من لحم ودم مرة واحدة أمام عينيه، وفي

البقية الباقية من الأطفال والأمهات والآباء الذين يراهم كل يوم يذهبون إلى القبر بصورة موحشة وشديدة الإرعاب عند أطفال المدينة .

لم يكن الطفل (فريد) إلا مُعبِّراً عن هذه الحالة التي تعيشها مدينة تعز.. حالة يعيشونها كل لحظة وتكسر قلوبهم وتعمل على خلق حالة اضطراب نفسي شديد من الصعب إزالتها.

(أمّــاه.. عادني مشتيش أموت)

قالتها (سلوى) ذات الثمان سنوات وهي ترتجف في حضن أمها..

على غير عادة أطفال العالم.. حتى حضن الأم لم يعد محل أمان لأطفال تعز الذين يموتون كل يوم ويتوسلون إلى الحياة والأحياء:

لا تقبروناش.. . لا تقبروناش ...

لفظ الطفل (فريد) أنفاسه الأخيرة نتيجة شظايا قذيفة مدفع هاون محرم دوليا، يتغاضى عنه المجتمع الدولي ويداهن ؟

مات فريد فماذا عن وصيته هل ستقبره المدينة أم تنفذ وصيته للحياة ؟

الواقع أن المدينة كتبت بدمها على تربة (فريد) هذه العبارة:

(لن نقبرك يا فريد) .. وستظل قضيتك وإخوانك وكل الشهداء حية .

لــن نقــبرك .. ولــن نعطــي القتلــة (حصــانة) بعــد اليــوم، ولــن نقتلــك مرتين؟حتى لو وقف العالم ومجالسه الدولية ومحافله بكل ما لديهم من نفاق وظلم.

لن نقبرك يا (فريد) وستبقى حيا يا صغيري؛ فـ (تعز) لم تعد بقرة حلوبا للقتلة والطامعين.. ولا (مدعسة) لقطاع الطرق.

حكاية مدينة تموت عطشا

بلغ بهم الأمر أن يوقفوا الناس في النقاط وبدون تمييز بين صغير وكبير.. طفل وشيخ.. رجل وامرأة.. المهم إنسان.

هدفهم البحث عن كرتون زبادي ليمزقوه، ولتر ديزل ليكبوُه، واسطوانة غاز ليفرغوها، وكيلو بسباس أو طماطم أو بطاط أو فاكهة ليبعثروه، أو علبة دواء ليحرقوها ويمنعوا دخولها، وحتى ماء الشرب يمنعون وصوله إلى سكان مدينة تعز.

صار الحصول على لتر ماء شرب عملية شاقة ومتعسرة.. والموت عطشا يلوح في الأفق أمام عالم يتغنى بحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب.

تتحدث الحاجة زينب بحزن وأسى: والله يا ابني مشينا أني وابني وبناتي الثلاث كل مكان (ندور) ماء نشرب ما حصلناش .. نفسي أحسها شتخرج من قبة رأسي .. ذلحين كيف أعمل والشيبة بالبيت مريض بالسكر من يومين ما معوش دواء.. مو أقله الآن؟ ما فيش ماء؟.. الله يحكم بيننا وبين الظالمين.. احنا لازمين بحبل الله الذي لا ينام ولا يغفل.

جريمة جماعية لم يسبق لها مثيل ؟

حتى الاستعماريين العتاة عبر التاريخ الذين غزوا أمما أخرى وارتكبوا مذابح جماعية مثل هولاكو وجنكيز خان، والاستعمار الخارجي بتاريخه لم يفكر مجرد تفكير أن يمنع الماء والخبز عن عامة الناس كعقاب جماعي.. وكفار قريش في حصارهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم وبني هاشم في الشعب لم يستحدثوا نقاط تفتيش ليمنعوا دخول الماء والخبز، ولم يقتلوا الأطفال والنساء عشوائيا، ولا انتقاء، ودفعتهم أخلاق الإنسانية وقيم العروبة ووشائج الرحم والحياء من الناس والخوف من الفضيحة إلى إنهاء الحصار الذي لم يكن بهذه الصورة الفظيعة التيتمارس اليوم باسم الانتساب إلى بيت النبوة.. حتى أبو لهب سيعلن براءته مما يفعلونه، ما بالكم أبو طالب ناهيكم عن من أرسله الله رحمة للعالمين .

فبأي شريعة أو نهج ترتكبون فظائعكم ضد الأطفال والمدنيين وتمنعون الخبز والماء ليموت الأطفال والنساء عطشا، ثم يأتي منكم من يتحدث عن الرحمة ويروي حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (عن رجل دخل الجنة لإنقاذه كلبا من العطش ، وعن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا سقتها إذْ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، ستبررون باسم الله كل فظيعة، وسيأتي منكم من يقول بأن من تحاصرونهم وتمنعون عنهم الماء هم (أخس) من الكلاب، وربما تثبتون بالدليل أنكم رحماء بالكلاب؛ فهم يعيشون بينكم طوافين، والكلاب على كثرتهم في تعز لم يخف منهم كلب ولم يقتل أو تقطع يد أو أطراف جرو صغير بل يأكلون من طعامكم آمنين في وقت يقتل الأطفال والناس ويمنع عنهم الماء والخبز والدواء بدون ذنب.

أما لماذا تعاملون تعز على هذا النحو؟ ببساطة ستقولون (دواعش) وكفار وتحمدون الله على نعمة الاسلام؟

لكنكم لا تعلمون أن الإسلام لا يجيز قتل أو حصار النساء والأطفال الآمنين وقتلهم عطشا ولو كانوا كفارا ووثنيين، فعن أي جهاد وإسلام تتحدثون؟ كما ينكر ذلك العرب في أشد مراحل الجاهلية.

إنه السقوط والفضيحة التي ستدع أم جميل ـ حمالة الحطب ـ تخرج من قبرها تشد شعر رأسها وتصرخ: الله يخزيكم.. لا تعرفونا ولا نعرفكم.. ما هكذا تورد الإبل؟.

وسيصيح أبو لهب: واللات والعزى لقد فضحتمونا بين سائر العرب.. تباً لكم أبد الدهر!!

للأسف الشديد هذه الجريمة التي تمارس على تعز فاقت كل أوصاف الانتهاكات، ويشارك فيها منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة ومندوبوها بصمتهم وتغاضيهم، والأصل أن يصرخ العالم صرخة واحدة ضد هؤلاء الوحوش؛ فهم يتشجعون بصمت العالم الذي يقول صباح مساء إنه يحارب الإرهاب ضد البشرية، ثم يصمت أمام جرائم إبادة ولا يتحدث ـ ولو همساـ ضد مليشيات

الحوثي في تعز التي تنهب معونات الأمم المتحدة الإغاثية (عيني عينك).. ناهيك عن حصار مضروب لمنع كل أسباب الحياة..

وإذا لم يكن هذا إرهابا وحرب إبادة فماذا يعني الإرهاب في قاموس المجتمع الدولي ؟؟؟

أما أبناء تعز نساء ورجالا وأطفالا وشيوخا فسيظلون شامخين بكرامتهم لن ينكسروا ولن يذلوا، وبإمكانكم سرقة الخبز من أفواه الأطفال، والماء من أكف العطشى، والدواء من أمام المرضى، ولو وجدتم وسيلة لمنعتم الهواء لتحلموا أن تصبحوا ذات يوم على (كانت هنا مدينة.. اسمها تعز)، والتي تتجه بوجعها إلى السماء برأس مرفوع.. إلى العرش واثقة بأن الله منتقم يمهل، ولا يهمل وأن النصر حليفها.

وما تفعلونه هو إيذان بالنهاية وإشعار بدنوّ عقاب الجبار المنتقم..

(ولله جنود السموات والأرض)

ولكنكم قوم طاغون.. ولكنكم قوم تجهلون .

على أسوار الفرح المقاوم

أطُلقت الألعاب النارية وزغاريد الفرح في مدينة تعز ليلة ١٧ أغسطس ٢٠١٥م ابتهاجا بما حققته المقاومة من تحرير معظم المؤسسات الرسمية والمربع الأمني ومواقع استراتيجية تضُرب منها المدينة منذ أشهر بعنف قاتل.

عم الفرح قري تعز لتشتعل الجبال والسهول بالفرح و (التنصير) .. كان فرحا غامرا في مدينة محاصرة تنام على الحزن وتصحو على الانفجارات والأشلاء ..ومازالت محاصرة والحرب دائرة والمدافع تقصف من أطراف المدينة متداخلة مع طلقات الاحتفال وابتهاجات الفرح.

وهو ما جعل البعض يرى أن الوقت غير مناسب لانطلاق كل هذا الفرح والأولى تأجيله حتى فك الحصار وتوقف عجلة الموت والقصف.

و كما يسأل السائح سألت أحدهم في الشارع: لماذا تحتفلون؟ فقال: بالنصر.!..

وحسبت أن الرجل لا يعلم بالحقيقة فقلت له: بس مازلنا محاصرين والقوات المعادية تقهقرت صحيح والمقاومة حققت منجزات مذهلة لا تناسب إمكانياتها بالمقارنة مع ما يملكه الخصم، لكن المدينة مازالت محاصرة، وهم في أطراف المدينة يحاصرون ويقصفون ؟

فردّ: تدري خليهم ينتظروا ليذوقوا المزيد من الهزائم.. تعز ما (تصافط!) هناك ثقة ونشوة عجيبة بالقدرة الجمعية للناس هنا ! يعبرون عن هذه القوة بكلمة (تعز) ؛ فتعز عنوان كرامة وإرادة الناس وشجاعتهم وبسالتهم وتضحياتهم المفتوحة.

والمدقق أكثر سيرى في تعز عنواناً للجمهورية وروحا ينبض بوحدة اليمن أرضا وإنسانا .

في طرف الشارع مجموعة قادمة للاحتفال، من بينهم (طفل) يكاد يطير فرحا يحمل صور شهداء في لوحة كرتونية جمعها من نشرة (المقاومة) اليومية

عدد الصور خمس عشرة صورة تقريبا، منها أربع أو خمس صور لشهداء من خارج تعز!

هذا من (المحويت) استشهد في جبهة (الحوض) وهذا آخر من إب في (جبل جرة) وهذا من(ريمة) في جبهة (الأربعين) وآخر من (أبين).

وهي لوحة توضح معركة المشروع الوطني في تعز كما هي في عدن ومأرب وصنعاء وشبوة وأرحب وصعدة.

وبفضول استوقفت أحدهم وسألته: ليش هذا الاحتفال الكبير.. أيش في؟ متغابيا أو أظنني غبيا فعلا.. لأنني لم أدرك سر شلالات الفرح العفوي في هكذا ظرف عَصيب ومتوتر للغاية.

رد علي بثقة: نحتفل بانتصار تعز!!

سألته (سؤال عبيط) وبدون تفكير بالعواقب: من هذه (تعز) امرأة وإلا رجل؟ أصدقكم أني خفت بأن أصاب بأذى .. فالفرح العام في ذروته حساس إذا جرح يرد بعنف وبلا وعي أحيانا .

كان حظي حسنا؛ فالرجل يبدو حليما لكن جوابه ادهشني وفتح آفاقا جديدة لمعنى (تعز) عند ناس المدينة الغريبة وهو يقول:

(تعز أنا وأنت وكل اليمنيين) !

هذه الجملة استوقفتني، وكأني أدخل منطقة مجهولة، وهؤلاء البسطاء يعرفون تعاريجها وتضاريسها جيدا، فتعز في وجدانهم هي اليمن والمشروع الوطني الكبير.

لا بد أن أخبركم أن سؤالي العبيط سببه أني أري الاحتفال في وقت غير مناسب ،وأريد الانتصار لرأيي في عالم الرياضيات ١ + ١

فثحت شهيتي للأسئلة وبدأت أسال على هيئة المزاح.. . وممن سألتهم رجل في الستين مظهره بائس لكنه مغمور بالفرح، خارج لتوه من مهرجان النصر كما سموه ... يتحدث بنشوة:

- أمانة (ابترعت برعة ما ابترعتيش من ثلاثين سنة) ..
- (وعلى موه الفرح والبرع يا حاج) ؟ قلت له؟

وقبل أن يصيبني غضبه البادي أو يطلق (الشقدفة) التعزية.. خاطبته:
لا لا.. . بس أنا قصدي لو احلوا الفرح إلى بعد النصر الكامل وفك الحصار.
- أخذ يردد كلامي ساحبا كلماته بسخرية أحرجتني قليلا (يؤجلووا الفرح لاا بعد النصر الكاامل.
وبصوت جازم: الفرح لا يؤجل يا ابني.. . والنصر حصل من أول يوم خرج فيها الرجال للمقاومة، (أنا حميسهن) رَدوا لي روحي وأنا فرح بأن تعز قالت كلمتها يد واحدة، ولم تخضع للظلم والغطرسة يابني.. هذه الجمهورية متعرفوش كم جماجم قدمت من أجلها وشنبيعها (بموزة خاسع) و نضيع نضالنا وجهاد عمرنا بلاش من أيام عبد الرقيب عبدالوهاب.
- سالته من هو عبد الرقيب عبد الوهاب ؟
لم يعجبه سؤالي وتجاهلي، فأخذ يتابع الأخبار من التلفاز بشغف.
- مرت على الشاشة صور للمقاومين الذين سيطروا على مبنى المحافظة ومقابلات مع قادة ميدانيين هناك، ولحظت الرجل يمط عنقه كمن يريد تقبيل جهاز التلفزيون، ليلتفت نحوي وهو يقول: ما تعرفش عبد الرقيب عبد الوهاب ..
أنت من أينه؟
هذولا هم عبد الرقيب عبد الوهاب وكل المقاومين عبد الرقيب عبدالوهاب والنعمان والزبيري وثورة سبتمبر كل الشهداء إذا كنت ما تعرفهمش؟
وأخذ يردد الأسماء الذين مروا أمامه في الشاشة من القادة الميدانيين بفخر هذا من عندنا ـ ما أدري كأنه قال (الأديمي) ـ أيوه (هاذوون) عبد الرقيب عبد الوهاب ومحمد فرحان.
كان من بينهم (يحيى الريمي) قائد ميداني في جبهة (الحوض) الشرسة.
- وعودة إلى (اللكاعة) المقصودة قلت: طيب ما دخل (الريمي) بتعز؟ كيف (ريمي) قائد ميداني بمقاومة تعز.. الرجل ظهر كمن بدأ صبره ينفد وبحدة

- يا ابني شوف كلهم أبناء تعز وأبناء اليمن .. احنا مش مناطقيين.. هم القتلة مناطقيين وعنصريين.. همشونا وقتلونا وقتلوا اليمن، أما تعز فهي اليمن الشرحبي والريمي والإبي والعدني والصنعاني، وتناضل من أجل الجمهورية والعدالة والمساواة .

- يا حاج أنت قلت (همشونا) يعني أيش كنت ليهمشوك ؟

- أنا كنت عسكري .. كنت (عَريف) أيام حرب السبعين وترقينا بالله والنبي إلى رتبة نقيب و(كرشونا) بتهمة أنني (شيوعي)، وأنا معرفش أيش هذه شيوعي!! بس كانت تهمة جاهزة للتطفيش ومطاردتنا وتصفيتنا من الجيش علشان يبقوا هم يحلبوها لبن ودم؟

أيوه أنا من ضباط الثورة وشوف كيف حالتي (بالبوري) وغيري مثلي، والذي منهم بسن ابني وحفيدي عميد وعقيد ولواء ويملك مائة بيت، وأنا ما قدرتوش أملك بيت ولا وظيفة.. خلي لي حالي.. .. هم نجحوا بتفريق الشعب.. . تدري الشعب كان يستاهل خاصة احنا عندما كنا نطأطئ الرؤوس وكل واحد يسري ليل (يعلج) عطيفه وحده ويرجم بصاحبه.. هذا الصدق ! الآن ما تشتيناش افرح بوحدة تعز وقوة تعز وكيف الفجعة انتهت والخوف هرب وكل واحد يفدي صاحبه بروحه؟ ومتشانش نفرح ولا نحتفل وكيف أصبحت تعز كلها ضباط أحرار علي عبد المغني وعبد الرقيب و ...

- سألته : أنت كنت في كتيبة عبد الرقيب عبد الوهاب؟ وهو يهم بالانصراف ومازال متوجسا مني: لا أنا كنت بكتيبة القائد (الآنسي) في حرب السبعين ؟

- حاولت أساله عن القائد (الآنسي) هذا لكنه انصرف .. . سار خطوتين وعاد غاضبا وكأنه استدرك أو تذكر شيئا ليزمجر:

وبعدين أنت زعلان من الفرح ليش؟ (شِخلصّ) فرحنا كثير كثير مو من جربتك؟ تؤجله لاا بعد النصر.. الفرح ما (شخلصش) لا تخاف وشنحتفل كل يوم ونفرح كل يوم والنصر منتصرين .. . منتصريين .. . منتصريين .. غصبا

عن الحاقدين على تعز واليمن والجمهورية ولن نعود للمذلة .. وجماعة (أخاف أخاف) ماتوا بتعز.. .. وانصرف !

لم تعجبني الخاتمة ؛ كنت أريد أن أودعه بشكل أفضل لكن الغضب الذي انفجر فيه لم يعطني فرصة ، ومع هذا سررت وعرفت الكثير وتذكرت الكثير من المعاني ، أهمها أن الشعوب تاريخ متراكم من النضال والصراع بين الظالم والمظلوم لا يموت ولا يتلاشى مع الزمن، بل ينبت في تربة الإنسان ووعيه ولو بعد حين والمهم أن تعز هذه فيها فائض من شلالات الفرح ومخزون من بركان الغضب ومدينة تملك كل هذا الفرح وكل هذا الغضب في آن واحد ستصنع المستحيل وستحمي الوطن وكرامة الإنسان، وقادرة على تصحيح أخطاء التاريخ ونسف كل مشاريع الاستبداد والأطماع والخرافات السوداء.. مزيج من شلالات فرح وبراكين غضب في آن.

وربما هذا ما يفسر صمود المدينة وصبرها على الأوجاع والنار، أما الحصار فيزيدها عنفوانا وفرحا ومقاومة.

تدرون .. ربما كل الناس يعرفون أن تعز محاصرة من كل الجهات، إلا أبناء تعز ؛ فإنهم لم يأبهوا ولم يتعاملوا يوما بأنهم محاصرون، بل يتعاملون مع الحصار والقصف والألم بتعالٍ كمن يدوس على حشرة ضارة بقدميه يوميا ويمشي لشأنه . يعتزون بالمقاومة يهتفون لها دوما ويزغردون ابتهاجا أمام كل شهيد يسقط ويلبّسون أسرته نياشين المجد، وتقوم المدينة تعظيم سلام لكل مقاوم ولكل شهيد ،باعتبارهم الكرامة واليمن وروح الفرح العزيز.

المقاومة في مشرعة وحدنان .. القوة المجتمعية الخارقة

حاولوا أن يلتفوا على هزائمهم ويبتلعوا انتصارات المقاومة بالسيطرة على منطقة مشرعة وحدنان.. واستعادة موقع الكشار أسفل مديرية مشرعة، والمسك بخناق المدينة ، خاصة مناطق المقاومة من المسبح وجبل الجرة والمرور وصولا إلى بير باشا والقوات الآتية من الضباب في عقاقة، ناهيك عن إمكانية السيطرة والوصول إلى قوات المقاومة وقراها في الضباب وجبل حبشي فيما لو سيطروا على كامل المديرية المطلة على جبل حبشي غربا ونجد قسيم والمسراخ جنوبا وجنوب غرب .

صحيح أن المقاومة في تعز لن تنتهي أو تندحر بمجرد الاستيلاء على مشرعة وحدنان لكنها ستكون في وضع صعب بينما تعطيها مشرعة وحدنان الموقع والإنسان نقله نوعية نحو النصر..

كانت الدبابة التي تمركزت في كشار قد اذاقت المدينة الويل والرعب والموت بقذائفها العشوائية.. حينها كانت المديرية تهمهم بغضب وأبناؤها المعروف عنهم ثقافة الثورة والتمرد على النظام الاستبدادي مبكراُ يتساءلون هل يمكن أن تضرب الثورة والمقاومة من قرانا ونحن نتفرج؟! إنه العار ذاته (يردد الناس بقهر).

كان وضعا كابوسيا بالنسبة إلى أبناء المديرية الذين فوجئوا بالوضع ولا يوجد لديهم إمكانيات أمام ترسانة تقتل إخوانهم وتضرب مدينتهم ولا تأبه بهم وبشعورهم، ولا تعيرهم أدنى اهتمام؛ فمعيار الاهتمام والاحترام عند هؤلاء هو القوة وليس الإنسان، والقوة بيدهم .

ومع كل قذيفة تنطلق إلى المدينة كانت تنتشر في القرية حالة بؤس على شكل قهر وانين في قلوب الرجال، وهي حالة لا تقل عند النساء.

فاض القهر فأنساهم النظر إلى موازين القوة لتنطلق مظاهرة سلمية من القرية نحو سلاح ومواقع ودبابة الموت مطالبين برحيلهم...

(ارحل.. ارحل) .. وكم ردد أهل مشرعة وحدنان هذه الجملة المغطسة بماء الحرية والدم والفداء في ٢٠١١م .. ارحل ارحلوا فردت الدبابة:

ارحل من يرحل؟ تبعتها بعطسة ساخرة على هيئة قذيفة إلى المدينة تخطف أرواحا وتهدم بيوتا، واستمر صراخ الناس ارحلوا واستمر عطس الدبابة بقذائف الموت إمعانا في السخرية ليتبعها سائق الدبابة بكلمة مستخفة .

(خلصتوا.. يالله ..

هجعونا.. عندنا شغل.. مش فارغين للضجة والهبالة).

في هذه الأثناء كانت الروح الشعبية تنتظر عملا خارقا؛ فهم لا يستطيعون العودة والدبابة تضرب المدينة ومعها تضرب كبرياء القرية وشرفها وفي لحظة فداء جاء العمل الخارق.

اتجه جمال سلطان أحد أبناء القرية بيديه العاريتين نحو الدبابة وفجرها نعم فجرها بدون سلاح أو مفجرات وسط ذهول عناصر المليشيات وتكبيرات الرجال وزغردات النساء .

ولم تمر لحظات إلا والدبابة تحترق، ولأن موقعها مهيمن على المدينة تجمع أهل المدينة عن بعُد يشاهدون حريقا هناك، وعندما علموا بأنها الدبابة سرت بينهم فرحة وارتفع كابوس واتجهت الأنظار إلى صبر الجبل ومديرية مشرعة وحدنان .

في اليوم الثاني كان جمال سلطان اسم يتردد في أرجاء المحافظة.. إنه البطل الشهيد الذي أحرق الدبابة بدون سلاح.. لقد رش الدبابة)بدبتين(بترول وأشعل فيها النار لتحترق وتتفجر بما فيها من ذخيرة، ولتشتعل معها المقاومة بينما صعد جمال سلطان شهيدا بطلقة من أحد مواقع المليشيات القريبة، ليلتفت أبناء المديرية إلى البحث عن وسائل بسيطة تمكنهم من ردع الغزاة.. المهم أن نقاوم ولو بالأظافر.. ألم تبدأ مقاومة الدبابة بالحناجر وانتهت محترقة؟

لقد لفت نظرهم الشهيد جمال سلطان بأن الإمكانيات لا تمثل عائقا لمن يملك الإرادة؛ فالمقاومة مثل الرزق إن بدأت متوكلا على الله كل شيء يسهل ويأتي تبعا للإرادة .

لم يمر وقت قصير من ذلك اليوم حتى كانت القرية المقاومة قد طردت الغزاة من قرى مشرعة واستولت على سلاح ومواقع، وبدأ الناس يتشكلون كمقاومة ..

(وعلى الباري) بأسلحة شخصية وذخيرة معدومة وحصار مضروب من أسفل الجبل؛ حيث تسيطر المليشيات على منطقة صينة في المدينة وتمسك بمخنق الطريق الوحيد المؤدي إلى المنطقة، وما زالت المليشات تسيطر على مواقع مهمة في حدنان أعلى المديرية.

كان الأمر برمته غير وارد في ذهن المليشيات، وتلقوها ضربة تحت الحزام ،ولهذا فلم تنتظر المليشيات كثيرا حتى جمعت قواها وحشدت من خارج تعز القوة التي تقول بأنها معدة للاقتحامات الصعبة.. ثلاثون طقما مدججة بالسلاح ،ومدرعات وصواريخ محمولة التفت من طريق الموادم ـ والموادم هذه مطلة على مديرية مشرعة وحدنان ـ إضافة إلى وجود مواقع ما زالت معهم في حدنان وعلى رأسها التبة الاستراتيجية تبة مسعود الهيمنة على المنطقة .

أمسك الجميع على قلوبهم مقهورين؛ فالمسألة مسألة وقت للاستيلاء على قرى المديرية التي لم تعدّ للحرب ولم تتمكن المقاومة من إيصال الدعم إليها ،بدأ الهجوم وبدأ أفضل المتفائلين يتساءل هل استولى الحوثي على كل القرى (والا عادوه) ؟

هل سيصمدون الليلة؟

كانت معركة مصيرية للجماعة وحلفائها، وكان الهجوم شرسا مصحوبا بغطاء ناري أحرق القرى؛ فقد ضربت الدبابات والمدافع من أكثر من خمسة مواقع مختلفة (الأمن السياسي ـ قلعة القاهرة ـ نادي الصقر ـ ذي مرين) ومواقع أخرى كلها صبت نيرانها على المنطقة في وقت تقدمت قواتهم لتستولي على قريتين ابتداءً وبوقت قصير .

ولأن المعركة غير متكافئة فقد بدأ الكثير وكأنهم يستسلمون للواقع مجبرين ولو مؤقتا؛ فبدأوا ينسحبون إلى خارج المديرية للنجاة، وللاستعداد للتحرير، بينما بدأت جماعة الحوثي وحرس صالح كالعادة بتفجير منزلين.

في اليوم التالي جاءت أخبار غريبة تفيد بأن القوة الغازية لم تستطع التقدم .. لقد غرقت في المنطقة التي وصلت إليها وتكبدت خسائر بالعشرات قتلى وجرحى.

ومثلما قرر وأبدع جمال سلطان في ضرب قوة الدبابة ليفتح بوابة المقاومة نجح شباب لا يزيد عددهم عن عشرين مقاوما في مبادرة الصمود وكتابة قصة النصر والمجد لجبل صبر وتعز .

لم يلتفتوا إلى رعب القوة وقرروا المقاومة أياً كانت الظروف ومهما عصفت الأعاصير والعواصف.. مقاومة وبروح المنتصر.

في كل المعارك التاريخية التي تخوضها الشعوب هناك أناس يسُقطون من حسابهم الانسحاب وترك المواقع حتى لو كان ذلك مبرَّرا، وهؤلاء من يرجحون الكفة ويقلبون الموازيين ويمسحون الحسابات، وفي تعز شاهدنا هذه النماذج كثيرا في كل المواقع والجبهات .

لقد أعاقوا القوة المدججة ثلاثة أيام، وكان هذا هو المطلوب لإنقاذ المديرية من السقوط الذي يتبعه سقوط الروح، كان المطلوب أناسا استثنائيين يمتصون الصدمة.

كان العارفون يقولون لو تم الصمود يومين فإنهم رجال.. وأكد آخرون لو صمدوا يومين لامتصوا الصدمة.. وسيبدأ اندحار وهزيمة القوة الغريبة، وهو ما تم كمعجزة مبهرة في عالم المقاومة وعلم الحروب.

قصة صمود أعاد الشاردين وجمع شتات القوة وحافظ على الروح، بل نفخ مزيدا من الروح ومكن المقاومة من ترتيب التعزيز والمدد ـ خاصة في الذخيرة ـ لتبدأ حكاية قرية ركّعت قوة جيش ومليشيات مدججة بكل أنواع الأسلحة.. قرية مدنية امتلكت الحق والإرادة والأبطال لتدحر قوة بهذا الحجم لا تنقصها بواعث الحقد والثأر القديم والحديث .

بعدها كان من الطبيعي أن تتناقل الأخبار استيلاء المقاومة على تبة مسعود ـ أهم تبة كانت بيد المليشيا قبل حرق الدبابة ـ وحينها وصلتهم تعزيزات كبيرة للحفاظ عليها، لكنها لم تغنهم شئيا.

كما تناقل الناس أخبار تمشيط قرى حدنان التي كانت قد انتشرت فيها المليشيات مع وجود متعاونين ومتحوثين فيها، وعن التحام مقاومة مشرعة وحدنان بمقاومة الموادم حيث انتفض الناس وبدأ تحرير قرىً على طريق موقع العروس .

على المقاومة في صبر أن لا تتوقف هنا؛ بل تمضي لطردهم من كافة صبر وخاصة بعض قرى صبر الموادم ذي مرين ومتنزه زائد والدمغة لتلتحم مع مقاومة المدينة وتنحدر مثل السيل نحو ثعبات والقصر الجمهوري والقوات الخاصة وقلعة القاهرة وصينة؛ فالسيل إذا نزل هادرا من صبر ستتجاوب معه كل الجبهات المقاومة لتحرير المدينة والاحتفال بالنصر والتحرير تحت علم الجمهورية اليمنية وبإرادة بناء مختلفة، نحو دولة مدنية خالية من السلبية والفرقة الشعبية.. خالية من الاستبداد والاستحواذ واللصوص والخرافة القادمة من كهوف الدجل وقلة الدِّين.

مديرية مشرعة وحدنان نموذج لمقاومة شعب بكل ألوانه وأطيافه المدنية والحزبية تحديدا، حيث عرفت بها وتميزت.

بائع الشاهي في مدينة الموت

محمد الحميدي رجل في الأربعين.. يتحدث اليوم وهو يبكي.. وأنتم تعلمون ماذا يعني بكاء الرجال !!

اليوم شعرت بحجم الماساة وثقل الجريمة على روحي.. يقول الحميدي

شاهدت في المستشفى (ريم) طفلة الثمان سنوات تقريبا وهي تصرخ ومعها يتقطع قلبي (قتلَهُ ما قتلني.. موبي مو يوجعني.. قتله ما قتلني)

(ريم) مثل كل أطفال تعز لا تستحضر سوى القتل والقاتل.

ويستطرد الحميدي: حضرَت صور وفجيعة كل أطفال تعز إلى ذهني، ذهبت إلى صاحب الشاهي طلبت واحد شاهي.. أعطيته خمسمائة ريال وقلتُ له سأذهب أشتري واحد (روتي) وأعود لأخذ الشاهي وبقية المبلغ.. لأتفاجأ ببائع الشاهي يستوقفني ويقول: (أسألك بالله لو رجعت ومهلناش أن تسامحني)!

- ليش يا أخي تقول كذه؟

- يا أخي أنت ترى كيف يموت الناس وكيف تتساقط الصواريخ والقذائف الموت بكل ملوى وكل زغط.

هؤلاء الكبار فكيف بأطفال المدينة ؟

- عدت ووجدت الرجل سالما لكنني لم أعد أنا سالما.. يقول الحميدي ؟

فما رأيت وسمعت هدني و أظهر أمامي بشاعة الجريمة وخيم في نفسي الحزن والغصة.

سألت صاحب الشاهي الذي يرى الموت بكل (ملوى وزغط):

يا أخي خلاص أيش رأيك نقول للمقاومة تستسلم أحسن حتى ينتهي الحصار والقذائف والموت ؟؟

كان سؤالا استكشافيا ومعبرا عن حزن ويأس اللحظة..

لكن المفاجأة الأكبر)والكلام مازال للحميدي(أن صاحب الشاهي الذي بدا متحضرا للموت يلتفت نحوي غاضبا:

- هـذا الكـلام تقولـه أنـت يـا أسـتاذ ؟! الله المسـتعان! لـن نستسـلم والمقاومـة كرامتنا.. وكرامتنا لا تستسلم ولا تموت.. الموت حق على الصغير والكبير سيأتي اليوم أو غدا.. والله إنني رغم الحصار والقصف أحس مـن داخلـي أنـني إنسـان ،وأننـا (أوادم.)

ويستمر بائع الشاهي بالحديث باسم المدينة المحاصرة كقائد في معركة فاصلة بالمقاومة شعرنا بقيمتنا وبها سننتصر ولن يكسرونا هؤلاء الهمج الجبنـاء.. والـذي يموت الله يرحمه.. شهيد .. أموت مرفوع الرأس يفخر بـي ابـني وابـن ابـني، ونـبني للأجيال دولة وكرامة.. كفاية التشرد داخل الوطن.

وكأن الرجل يعي أن المعركة التي تخوضها المدينـة هـي معركـة تطهـير وطـن المسـتقبل .. هـؤلاء المتعـاركون مـع النـار.. المبتسـمون وسـط الركـام (الداعسون) على عنق الموت وحدهم من سيطهر اليمن مـن (القـيح) المتسـرب مـن أزمنة السوء ،وأيامها الغابرة .

بكبرياء دمائهم وصمودهم يصنعون مستقبل ألف عام ويمسحون عار ألف عام

الناس سواسية لا سادة ولا عبيد

يتقدم قادة المقاومة نحو صنعاء وهم يهتفون بالأفراد، لا تقتلوا أسيراً ولا تهدموا بيتاً، فالأرض أرضنا والأهل أهلنا.

فالمقاومة اليمنية ليست مشروع انتقام، وإنما مشروع حياة كريمة.. هي ضد فكرة وممارسة السلالية والعنصرية والاستبداد، كوباء دمر اليمن قديماً وحديثاً، وشوهت الإسلام كرسالة مساواة وكرامة للإنسان كإنسان دون اعتبار للعرق واللون.

ولتأكيد ذات الرسالة أخذ أفراد المقاومة وهم يدخلون (نهم) والمناطق المحررة في الجوف وصنعاء يمسحون شعارات الظلام وصور الأصنام ويكتبون بدلاً عنها عبارة : (الناس سواسية لا سادة و لا عبيد) ؛ وذلك قبل أن تجف دماء الشهداء ليؤكدوا بصورة مدهشة حقيقة المعركة وعدالتها وهدفها السامي.

(الناس سواسية لا سادة ولا عبيد) .. المادة الأولى من الدستور القادم، ترفع من شأن الإنسان وتجرم العنصرية السلالية كما فعل الألمان مع العنصرية النازية. (الناس سواسية لا سادة ولا عبيد) ..هو ما استشهد من أجله النعمان والزبيري والموشكي ومحمد علي عثمان وعبد المغني و باذيب والحمدي وعبود وشهداء كل الثورات، وصولاً إلى المقاومة اليوم وشهدائها الكرام.

وهو الهدف ذاته الذي تفجرت من أجله ثورة ١١ فبراير وهتف من أجله طلاب وطالبات مدرسة رابعة ومدرسة الكويت في قلب العاصمة صنعاء وتحت رماح القتلة.

الفهرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
تصدير .	٤
المقدمة .	٥
راعي في جبل جرة .	٧
الحلقة الأولى .	٧
الحلقة الثانية .	١٠
الحلقة الثالثة .	١٣
الحلقة الرابعة .	١٧
الحلقة الخامسة .	٢٣
الحلقة السادسة .	٢٨
الحلقة السابعة .	٣٦
الحلقة الثامنة .	٣٩
الحلقة التاسعة .	٤٣
الحلقة العاشرة .	٤٧
الحلقة الأخيرة .	٥٣
جبل ضحيح .	٥٦
ضاحة الرباح .	٥٩
سلمية التعزية .	٦٣
قنبلة فاطمة .	٦٦
(بُقَش) تقاوم أيضاً .	٧٠
تعز .. طفل ما يفتجعش .	٧٦
اليمن الجمهوري .	٨٠
القائد مريم .	٨٢
الأسطورة عبده الأكمح .	٨٨

الموضـــوع	رقم الصفحة
أم جلال .. كتيبة التمويل الخاصة .	٩٣
الغمامة عزيزة .	٩٩
أم في المعبر .	١٠٦
صور من السقوط والهمجية في معابر الموت	١٠٩
المتحوث عبد الله التعزي .	١١٢
طريق الحمير .	١١٦
ثلاثة أيام غيرت وجه تعز .	١٢٢
جبل (الراهش) و (الطهوش) المقهورة .	١٢٦
الاكتفاء الذاتي ودورة الزمان .	١٢٧
لن نقبرك يا صغيري .	١٢٩
حكاية مدينة تموت عطشاً .	١٣١
على أسوار الفرح المقاوم .	١٣٤
المقاومة في مشرعة وحدنان .. القوة المجتمعية الخارقة .	١٣٩
بائع الشاهي في مدينة الموت .	١٤٤
الناس سواسية لا سادة ولا عبيد .	١٤٦
الفهرس .	١٤٧

تم بحمد الله